الأمير الصغير

The Little Prince

الكتاب : الأمير الصغير **The Little Prince**
المؤلف : أنطوان دو سانت إكزوبيري
المترجم : محمد حسن عبد الولي
الطبعة الثالثة : القاهرة ٢٠٢٠
رقم الإيداع : ٥٠٢٤/ ٢٠٠٩
الترقيم الدولي : ISBN: 978-977-6284-78-4

الناشر
شمس للنشر والإعلام
٢٧ الشطر١٣- برج الشانزليزيه - زهراء المعادي - القاهرة
ت : ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥(٢+)
www.shams-group.net

أنطوان دو سانت إكزوبري

الأمير الصغير

The Little Prince

ترجمة:

محمد حسن عبد الولي

شمس

للنشر والإعلام

إهداء

إلى :

كورنيليا

و

بسمة

و

بهجة

عزيزي القارئ..

لعلك قرأت قصة (الأمير الصغير) تلك الرواية الرائعة التي تم اختيارها كواحدة من أعظم مائة عمل أدبي ظهر في القرن العشرين.

منذ عدة سنين أهدتني صديقتي النمساوية "كورنيليا" قصة (الأمير الصغير) خلال إقامتي القصيرة اللذيذة في فيينا. وحين عدتُ إلى مصر بدأتُ قراءة تلك القصة، فشدني إليها بساطتها وعمقها وعفوية الأحداث، ووجدتني أُبحر في سماوات بكور الطفولة وبراءتها... سحرني "سان أكزوبري" بعالمه الطفولي الساحر، ورَدَّنِي إلى حنين مواطنٍ أوشكتْ أن تندثر في قلوبنا.

بعد سنوات قرأت بجريدة الأهرام عرضًا جميلاً للأمير الصغير بقلم "د. لويس عوض" فعمَّق هذا إحساسي بحب (الأمير الصغير) ورحلته التصادمية مع عالم الكبار.

وبعد سنوات وقعتْ مصادفة بين يداي ترجمة عراقية لصديقي (الأمير الصغير)، فَرِحتُ بها وبدأتُ أقرأها متلهفًا فرحانًا وأسعدني أنّ الصغار والكبار سيتعرفون (الأمير الصغير) وسيحبونه كما أحببته، لكن كم كانت خيبتي بعد صفحات قليلة لم أشعر فيها بـ(الأمير الصغير) يتنفس في تلك الصفحات، حتى وصلتُ إلى الصفحة الأخيرة فوجدتُ (الأمير الصغير) قد مات مخنوقًا بين سطور تلك الترجمة السطحية التي لم تُلامس نبضات قلب محبوبي أميري الصغير.

اكتأبتُ وحزنتُ لمصير صغيري الجميل البريء على يد الكبار، وقلتُ لنفسي إذا كان هذا المترجم قد أخمد أنفاس (الأمير الصغير) حتى خرجتْ قصته جثة هامدة لا حياة فيها، فلماذا لا تحاول بث الروح في روحه وترد إليه أنفاس الحياة.

وشرعتُ في تلك المهمة الشاقة التي كنتُ أحسبها؛ لفرط حبي لأميري الصغير؛ هينة. وبدأتُ أترجم صفحات وصفحات حتى انتهيت منها كلها، فوجدتني

بكل أسف وحزن قد أنهيت على الأثر البسيط الباقي من الحياة في روحه، فقد كانت ترجمتي أبشع وأفتك من ترجمة ذلك العراقي.

أصابني غم وهم وحزن واكتئاب أشد لما فعَلَتْهُ يداي بالصغير، وشعرتُ بعقدة الذنب وتأنيب الضمير.
ورحتُ أفكر وأعيد الفكر في هذا المأزق الشديد السخيف الذي انزلقتْ فيه نفسي، صارت نفسي وروح (الأمير الصغير) مخنوقتين بين سطور ترجمتي الركيكة، تائهتين وسط كلمات لا حياة فيها، كيف السبيل يا ربي دلني؟ كيف أُداوي ما فعلتْ يداي؟

ألهمني ربي أخيرًا أملاً جميلاً في سبيل إحياء روح أميري الصغير وعودة الطمأنينة إلى نفسي، فدلَّني إلى سَبِيل شَاعِرِنا الرقيق "رامي" وأسلوبه في معالجة رباعيات الخيّام وكيف ترجمها إلى العربية، كما هداني أيضًا إلى سبيل أديبنا "المنفلوطي" و"ماجدولين". لقد شَرِبَ شاعرُنا "رامي" رباعيات الخيّام على مهل، وأخذ يمتص رحيقها المختوم حتى تشربتْ روحه روح

معاني "الخيّام"، ثم راح يصوغها بروحه وأسلوبه العربي الرشيق البديع حتى تمثلت لنا روح "الخيّام" الفارسية طليقة قوية صافية بين أنفاس ترجمة "رامي" العربية.

وشرعتُ أحاول مع أميري الصغير ما صنعه "رامي" مع "الخيّام"، وسرتُ في هذه الطريق الشاقة المُثمرة، سهرتُ مع (الأمير الصغير) أعالج في رفق وتمهل قصته، تغلغلتُ في نفسه حتى أكاد أزعم أني لامست روحه الشفافة الصافية، جلستُ مع محبوبي الصغير في الصباح الباكر بين غَبَش العتمة وانبلاج الصباح، تلك السويعات التي لم تزل الروح فيها صافية لم تتلوث بعد بأدران النهار.

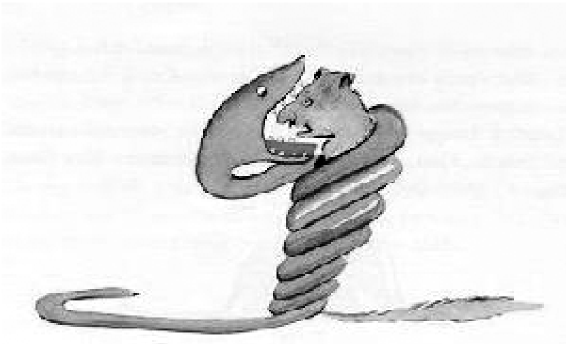
كنتُ أسمع صديقي (الأمير الصغير) يبثني غرائبه مع عالم الكبار، كنت أُنصت إلى نجواه وشكواه مع محبوبته الوردة الفاتنة المغرورة التي آثرت كتمان حبها لأميري الصغير في طيات أثواب الغرور الساذج حتى

رحل عنها صغيري حزينًا مُلتاعًا، ثم صارتْ تُلهب روحه أشواق اللقاء، أنصتُ وأنصتُ، وتشبعت وأحببت، ورحت أحاول أن أنقل حكايات صديقي الأمير إليكم لعلكم تحبونه كما أحببته وتصادقونه كما صادقته وتحتفظون في قلوبكم لأميري محبوبي الصغير بلذيذ الذكريات.

محمد حسن عبد الولي

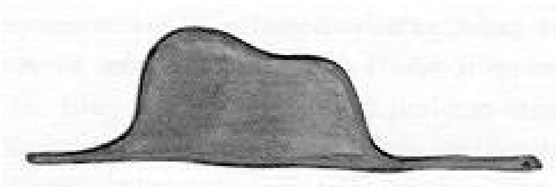
أحد أصدقاء (الأمير الصغير)

(١)



كنتُ في السادسة من عمري حين رأيتُ صورة رائعة مهيبة في كتاب بعنوان "قصص حقيقية من الغابة" كان عن الغابات البدائية البكر، وكانت الصورة تُصور ثُعبان "الأصلة" الضخم وهو يبتلع فريسته، ومكتوب تحت الصورة: (الأصلة العاصرة تلتهم الفريسة ثم تنام ستة شهور حتى تهضمها).

أدهشتني تلك الصورة واستغرقتني حكايات الغابة، فأخذت قلمًا ورحت أحاول حتى استطعت أخيرًا أن أرسم هذه الصورة.

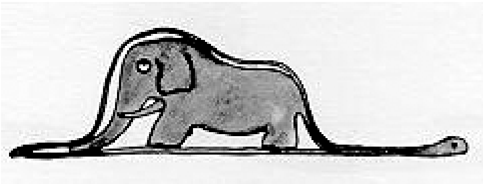


وعرضتُ تحفتي علي الكبار وسألتهم:

- أترعبكم؟
- فيردون: وهل يخاف أحد قبعة؟

لم تكن صورة قبعة، بل هي "أصلة" ابتلعتْ في جوفها فيلاً، لكن ما حيلتي والكبار عاجزون عن إدراك الحقيقة، هكذا هم دائمًا يحتاجون لمن يشرح ويُبسط لهم حتى يصلوا إلى الحقيقة.

واضطررت أن أرسم لهم "الأصلة" من داخلها، فجاءت الصورة هكذا.



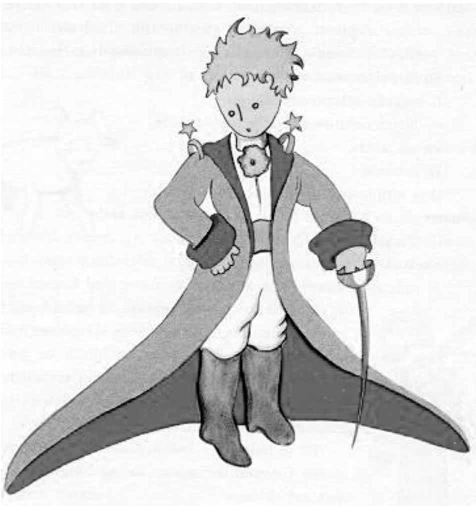
ومرة أخرى عرضتها على الكبار، وسألتهم نفس السؤال: أتُرعبكم الصورة؟ فكان ردّهم أن نصحوني بالتخلي عن رسم الثعابين من الداخل أو الخارج، وأن أتفرغ لدراسة الحساب والتاريخ والنحو.

وهكذا أيها الأصدقاء تخليتُ وأنا في السادسة عن الرسم بعد أن خابت آمالي في الكبار، وبعد فَشَلِهم في إدراك حقيقة تحفتي الأولي ثم الثانية، ولولا هذا لكان لي شأن عظيم في عالم الرسم، لكن ما حيلة الأطفال مع هؤلاء الكبار؟

واحترفتُ مهنة غير الرسم، فتعلمتُ قيادة الطائرات والتحليق في سماوات بلاد غير قليلة، وكانت الجغرافيا مفيدة، حتى استطعت أن أميز بسهولة (الصين) من (الأريزونا)، وذلك كله مفيد إذا ما ضل الإنسان ليلاً طريقه.

وقابلتُ في طريق حياتي كبارًا كثيرين تُشغلهم أمورًا خطيرة، تعاملتُ معهم واقتربتُ منهم وعرِفتهم، ولم تتحسن نظرتي فيهم كثيرًا، كنتُ إذا ما ظننتُ في أحدهم الذكاء والبصيرة عرضتُ عليه صورة "الأصلة" التي أحملها دائمًا معي، فإذا قال لي إنها "قبعة"؛ لا أكلمه عن ثعابين الأصلة ولا الغابات البدائية البكر ولا النجوم، وأنزل إلى مستوى حديثه فأكلمه عن ألعاب البريدج والسيّاسة والجولف وأربطة العنق، وكان الكبار يُعجبون بمثل هذا الحديث، ويُسعدهم أن يتعرفوا على رجلٍ حلو الكلام ذي ذوقٍ رفيع، ولم أكن أسعد بهذا.

(٢)



هكذا مضتْ حياتي، وحيدًا، كنت لا أجد من أستطيع فعلاً الحديث معه، حتى كان يومًا منذ ست سنوات وأنا طائر فوق الصحراء الكبرى وأصاب عطلٌ محرك الطائرة، ولّما لم يكن معي الميكانيكي أو أحد المسافرين هبطتُ اضطراريًا في قلب الصحراء الكبرى، وكان

عليّ أن أقوم بمشقة إصلاح العطل وحدي في قلب صحراء قاحلة شاسعة، وليس معي من الماء ما يكفي؛ في أفضل الأحوال؛ أكثر من أسبوع واحد فقط، وهكذا صار إصلاح المحرك عندي مسألة حياة أو موت

في الليلة الأولي بالصحراء نِمتُ علي الرمال، كانت آلاف الأميال تفصلني عن البشر، وكنتُ وحيدًا معزولاً كرُبَّانٍ تحطمتْ سفينته في ظلام المحيط فتشبث بلوحٍ خشبي عسي أن تصل إليه يد النجاة. وفي قلب هذه العزلة النائية وهذا الموقف لكَ أن تتخيل مدى ما أصابني من ذهول حينما سمعتُ وقتَ الشّروق صوتًا هامسًا يُوقظني..

ـ من فضلك ارسم لي "خروفًا"

ـ ماذا؟!

ـ ارسم لي خروفًا.

وثبتُ مصعوقًا واقفًا علي قدماي، فَرَكتُ عيوني بكلتا يداي ونظرتُ في حذر، فوجدت إنسانًا لم أر في حياتي أعجب منه واقفًا يتأملني في هدوء، هذه صورته التي

استطعت بعد ذلك أن أرسمها، لكنها في الحقيقة أقل منه سحرًا. لا تلوموني أرجوكم، فليس التقصير ذنبي لكنّهم الكبار الذين خيبوا آمالي في الرسم وأنا في السادسة، وبسببهم لم أصبح فنانًا بارعًا، ولم أتقن من الرسم سوى "الأصلة" ؛ من داخلها ومن خارجها.

وأخذتُ أُحدق في هذا الإنسان العجيب، وتكاد رأسي تنفجر دهشة، كيف ظهر فجأة هكذا في قلب تلك الصحراء التي تعزلني عن أقرب مخلوق بآلاف الأميال؟ وبعد أن عادتْ لي قدرتي علي النطق قلت :

ـ ماذا تفعل هنا؟!

سمعته يكرر نفس الكلمات متمهلاً كأنما يتحدث عن أمر جليل :

ـ من فضلك ارسم لي "خروفًا"

شعرتُ أنّ الموقف يفوق احتمال العقل، فلم أستطع سوى الامتثال لما يريد، خاصة وأنا وحيد معزول في صحراء تفصلني عن البشر آلاف الأميال، صحراء يلوح فيها أطياف الهلاك. أطعتُه وأخرجت من جيبي

ورقة وقلمًا وحاولت أن أرسم ما يُريد، فتذكرت أن دراستي قد اقتصرت علي الحساب والنحو والجغرافيا والتاريخ، فقلتُ للفتي المنتظر:

ـ لا أتقن الرسم.

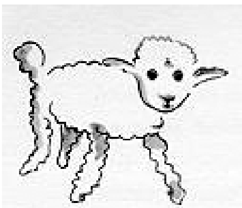
ـ لا يهم، ارسم لي "خروفًا"

ولأني لا أعرف من الرسم سوى الأصلة من الداخل والخارج رسمتُ له الأصلة من خارجها، فأدهشني ناقدي الصغير يُعارض في استحسان:

ـ لا، لا، لا أريد فيلاً في جوف أصلة، الأصلة ثعبان خطير والفيل حيوان جسيم وهناك حيث أعيش كل شيء صغير صغير أحتاج خروفًا، ارسم لي خروفًا.

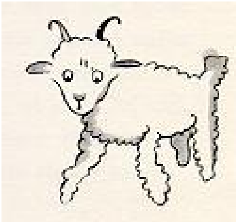
رسمت له خروفًا نظر إليه وقال:

ـ هذا مريض، ارسم غيره.



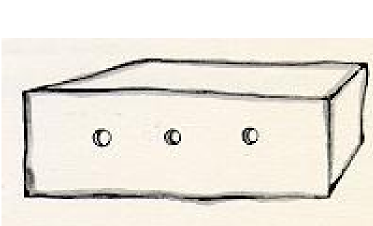
ورسمت غيره فقال في تسامح وابتسام:

هذا ليس بخروف إنه كبش ذو قرنين.



ورسمت له آخر، فيقول هذا خروف مريض، ثم خروفًا آخر، فوجد للأسف مصير إخوته السابقين، ورسمت غيره، وغيره، ولم يجدوا في عينيه استحسانًا، هذا مريض، وهذا عجوز، وهذا ذو قرنين، حتى نفذ صبري تمامًا، لأن هذا أمامي ومشكلة المحرك ورائي، فرسمت في عجالة صندوقًا صغيرًا ودفعته إليه وقلت:

ـ الخروف المطلوب بالداخل.



ابتسم ناقدي الصغير:

ـ هذا ما أريده تمامًا، لكن أتظنه يحتاج لعشب كثير؟

ـ لماذا؟

ـ لأن كل شيء حيث أعيش صغير فهل سيجد من العشب ما يكفيه؟

ـ بالطبع، فهو كما ترى خروف صغير.

ثم نظر إلى داخل الصندوق:

ـ ليس صغيرًا إلى هذا الحد.. انظر لقد نام الخروف.

وكان هذا اللقاء بداية معرفتي بـ(الأمير الصغير).

(٣)

استغرقني وقتٌ طويل حتى عرفتُ من أين جاء (الأمير الصغير)، فقد كان يسأل دائمًا وينتظر الرد على السؤال، وإذا بادرته أنا بالسؤال بدا عليه عدم الإصغاء، ورغم هذا فقد استطعت شيئًا فشيئًا وبمرور الوقت اكتشاف أشياء، فقد سألني حين رأى طائرتي:

ـ ما هذا الشيء؟

(لن أرسم بالطبع لكم طائرتي لأنها شيء يفوق قدراتي).

ـ ليست شيئًا، إنها طائرة وأستطيع أن أطير بها.

وشعرتُ بزهوٍ وأنا أوضح له كيف يمكنني الطيران.

غير أنني فوجئتُ به يقول:

ـ ماذا؟! أهبطت من السماء؟

قلت بمسحة تواضع:

ـ نعم هبطت من السماء.

فسمعت ضحكاته تجلجل في الفضاء وكأنه يسخر، فتضايقت لأني لا أحب أن يتخذ أحدٌ من محنتي هزلاً، غالبَ الضحك وقال:

ـ وأنت أيضًا جئت من السماء، ما كوكبك؟

شعرتُ أن كلماته شعاعٌ ينفذ ليكشف لي شيئًا من لغزِ وجوده، فقلتُ على الفور:

ـ وهل جئتَ أنتَ من كوكب آخر؟

لم يرد، وظل يتفحص طائرتي دون أن يرفع عينيه عنها، وأخيرًا سمعته يقول:

ـ لا يمكن حقًا أن تأتي من مكان بعيد في هذا الشيء.

ولكَ أن تتصور مدي فضولي رغم نصف يقيني بوجود حياة على الكواكب الأخرى، فبذلت جهدًا عظيمًا كي أعرف الكثير والكثير، وثارت في عقلي أسئلة كثيرة وكثيرة:

ـ من أين أتيتَ؟ وماذا تقصد حين تقول: حيث أعيش؟ وإلى أين ستأخذ خروفك الصغير؟

ووسط تساؤلاتي وجدته بعد صمت يقول:

ـ أتعرف أفضل شيء أن الخروف يستطيع أن يتخذ من الصندوق في الليل مأوى؟

ـ طبعًا، وإذا سمعت كلامي سأعطيك أيضًا حبلاً ووتدًا كي تقيد الخروف نهارًا.

ـ أقيده؟!

ـ نعم حتى لا يهرب وتفقده.

وسمعت الضحكة المجلجلة مرة أخرى:

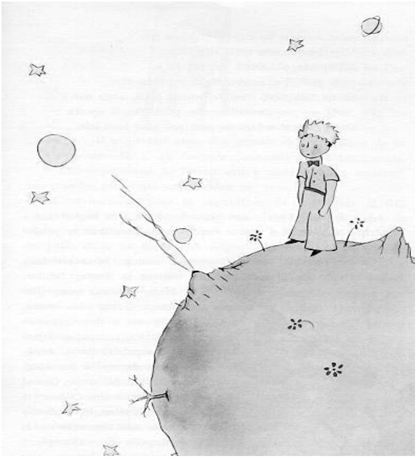
ـ وإلى أين سيهرب الخروف؟

ـ إلى أي مكان يجده أمامه.

قال في أسى عميق:

ـ أينما هرب لن يذهب بعيدًا، فكل شيء حيث أعيش صغير صغير.

(٤)

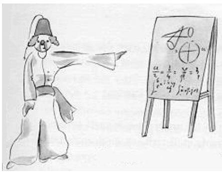


وهكذا استطعتُ من خلال الكلمات التي كانت تتناثر عفويًا من (الأمير الصغير) أن أعرف عنه حقيقة هامة، وهي أن كوكب (الأمير الصغير) يكاد حجمه لا يزيد عن حجم منزل صغير، وهذه ليست حقيقة مبالغ فيها إذ يُوجد بالإضافة إلى الكواكب الكبرى كالأرض وعطارد والزهرة والمريخ مئات الكواكب القزمية الضئيلة التي يصعب رصدها حتى بالتليسكوبات.

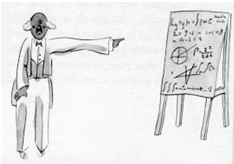
حدث مرة أن اكتشف أحد الفلكيين كوكبًا قزميًا فلم يشأ من ضآلته أن يمنحه اسمًا واكتفى أن أطلق عليه رقمًا و هو "كوكب قزمي ٣٢٥".



لدي من الأسباب ما يقنعني أن (الأمير الصغير) جاء من الكوكب القزمي "ب-٦١٢" وهذا القزمي لم يرصده سوى عالم فلك تركي في عام ١٩٠٩م.



وقد وقف العالم الفلكي في ثيابه التركية أمام الجمعية الفلكية الدولية وقدّم ما يثبت ويبرهن على صدق اكتشافه،
لكن للأسف لم يصدقه أحد وهو في ثيابه التركية هذه، لا تتعجب فهذا شأن الكبار دائمًا.



وصادف الحظ السعيد الكويكب القزمي"ب-٦١٢" حينما أصدر طاغية تركي فرمانًا بالإعدام لأي مواطن تركي لا يرتدي الملابس الأوربية، فسارع عَالِم الفلك إلى الجمعية الفلكية في ثيابه الأوربية ووقف أمام الجميع، فقبلوا براهينه كلها.

ـ لا تتعجبوا أيضًا، فهذا شأن الكبار دائمًا.

عذرًا لذكر كل هذه التفاصيل والأرقام، لكن ماذا أفعل والكبار لا يهمهم سوى الأرقام، فلو أنك قلتَ لهم إن لي صديقًا جديدًا، تراهم لا يسألون عنه أسئلة جوهرية مثل: هل صديقك ذو صوت جميل؟ هل يهوى جمع الفراشات؟ ما أحب الألوان إليه؟.. بل على عكس هذا تمامًا، سيمطرونك بسخافات مثل: كم عمره؟ كم أخ له؟ كم وزنه؟ كم ثروة أبيه؟

وحين تتخلص منها بالرد عليها يعتقد الكبار أنهم قد عرفوا حقًا هذا الصديق.

نعم صدّقني لأنك لو قلت لهم يومًا إنك رأيت بيتًا جميلاً مُشيدًا بالطوب الوردي وعلى نوافذه الزهور وعلى سطحه اليمام، فلن يكون في استطاعة عقولهم تكوين أي فكرة عن جمال هذا البيت، لكن إذا قلت لهم رأيت بيتًا يساوي ٤٠٠٠ جنيهًا ستسمعهم يقولون "ما أجمله من منزل".

هكذا هم الكبار وأمورهم العجيبة، إذا قلتَ لهم: دليلي على وجود (الأمير الصغير) كونه جميلاً ضحوكًا يريد خروفًا صغيرًا، وإن احتياج إنسان خروفًا برهان على وجود هذا الإنسان، ستراهم يهزون الأكتاف سخريةً وينظرون إليك كطفل يهذي بكلمات حمقاء. هذا أسلوب لن يجدي مع الكبار، لكنك إذا ما قلت لهم: برهاني على وجود (الأمير الصغير) أنه قد جاء من الكوكب القزمي "ب ٣١٢"، لصدقوك ودعوك في سلام من سخافاتهم.

ولأن هذا حال الكبار دائمًا فعلينا نحن معشر الأطفال أن نتحملهم ونبدي التسامح، ولأننا نفهم حقًا روح الحياة فلا تعنينا الأرقام في شيء.

وودت أصدقائي الأطفال أن أبدأ حكايتي مع (الأمير الصغير) كما تبدأ عادة الحواديت فأقول: "في يوم من الأيام كان أمير صغير يعيش في كوكب يكاد يكون أكبر حجمًا من جسمه، وكان (الأمير الصغير) محتاجًا لصديق".

وطريقة الحواديت هذه عند من يفهمون الحياة حقًا تمنح حكايتي روح صدق، لا أحب أن يقرأ أحدُكُم قصتي دون اهتمام، فكم مزّقتني الأحزان عندما كتبتُ تلك الذكريات، الآن مضت ست سنوات على فراق صديقي (الأمير الصغير) والخروف، ما أحكي لكم الآن إلا لأُذكّر نفسي أنّي ما نسيته قط، مؤلم أن تنسى صديقًا، فليس كل إنسان لديه صديق، آه لو نسيت الصديق... لصرت كهؤلاء الكبار الذين لا يهمهم في الدنيا سوى الأرقام.

ومرة أخرى وجدتني من أجل صديقي (الأمير الصغير) أشتري أقلامًا ملونة وأحاول؛ رغم العمر وجهلي بالرسم إلا بالأَصَلَة من الداخل والخارج؛ أن أتعلم الرسم وأجرب، وسأحاول من أجل أميري الصغير قدر استطاعتي أن تقترب رسوماتي من الحقيقة رغم أني على ثقة غير مؤكدة من النجاح، فقد تخرج صورة جميلة وصورة أخرى ليس بينها وبين أصلها علاقة.

كما أود أن تسامحوني إذا رسمت (الأمير الصغير) أطول أو أقصر كثيرًا، وكذلك بالنسبة لملابسه، أشك في قدرتي على نقل جمال ألوانها كما كانت، ولكني كما وعدتكم سأحاول قدر جهدي لعل رسوماتي تجد استحسانًا لديكم. وأقول لكم أيضًا أني سأقع في أخطاء بالنسبة للتفاصيل المهمة الخاصة بثياب (الأمير الصغير)، لكني أرجوان تغفروا لي هذه الأخطاء فالأمير لم يكن يشرح لي كل شيء ظنًا أني لبيب وأني قد رأيت الخروف نائمًا فعلاً داخل الصندوق.

وأخيرًا أرجو أن تعذروني؛ فقد صرت بمرور الوقت كأني واحدٌ من الكبار.

(٥)

كلما مرّ يومٌ عرفتُ شيئًا عن كوكب (الأمير الصغير) وأسباب رحيله، لم أعرف كل هذا بالطبع دفعة واحدة، لكن من كلمات كانت تخرج أحيانًا بطريقة عفوية من بين خواطره.

حدث في اليوم الثالث أن تحدث عن كارثة (البوباب)، والفضل في إثارة هذا الموضوع يرجع إلى الخروف؛ إذ قال (الأمير الصغير) بلهجة شك خطير:

ـ هل يأكل الخروف فعلاً الشجيرات الصغيرة؟

ـ نعم بالطبع.

ـ كم يسعدني هذا.

ولم أفهم طبعًا ما أهمية أن يأكل خروف صغير شجيرات صغيرة، ووجدته يواصل الاستفهام:

ـ ويستطيع أيضًا أن يأكل أشجار (البوباب)؟



ابتسمت وأوضحت له أن (البوباب) ليست كغيرها من الأشجار إنما الواحدة منها في ضخامة الحصن،

ـ حتى لو أخذت معك قطيع أفيال فلن تستطيع أن تأكل شجرة (بوباب) واحدة.

أضحكه موضوع الأفيال:

ـ إذا أخذت معي الأفيال سأضطر أن أضع كل فيل فوق ظهر أخيه.

مبديًا ملاحظة ذكية:

ـ في المهد يكون (البوباب) صغير.

ـ فعلاً، لكن لماذا تصر أن يأكل الخروف (البوباب)؟

نظر في عيني بدهشة وكأنه يتحدث عن أمر بديهي لا يحتاج إلى تفسير، وظللتُ وحدي أعصر عقلي حتى توصلتُ إلى العلاقة بين (البوباب) والخروف، حتى عرفت أن في كوكب (الأمير الصغير) كما في الكواكب

الأخرى نباتات طيبة وأخرى شريرة،وأن الطيبة تنحدر بالطبع من أصول بذور طيبة، والشريرة من أصول شريرة، وأن تلك الشريرة والطيبة ضئيلة تكاد لا تراها عين، تسكن قلب الأرض وتظل نائمة حتى تتملكها الرغبة في الاستيقاظ، فتجدها تمد خارج التربة غصنًا نحيلاً يتحسس وجلاً طريقه نحو الشمس، وعليك أن تكتشف هوية هذا الغصن، فإذا وجدته من الورد أو الفجل دعه ينمو حيث يريد، لكن إذا ما عرفت أنه غصن بذرة شريرة عليك فورًا أن تستأصله.



وكانت في كوكب (الأمير الصغير) بذور شريرة مزعجة تدعى (البوباب) استعمرتْ في الظلام قلب الكواكب، كانت من حين إلى آخر تطل برقابها خارج التربة، وكان (الأمير الصغير) فورًا يقطعها من جذورها، فلو أنك تركت واحدة فقط لتمددت وتعملقت، ومهما تفعل فلن تقدر عليها حتى تضرب قلب الكوكب كله وتمزقه أشلاءً صغيرة.

كي تحمي كوكبك من هجمات (البوباب) عليك باليقظة والنظام، تستيقظ في الصباح وبعد أن تأخذ زينتك تبدأ في العناية بالكوكب فتقتلع في الحال كل نبتة (بوباب) تقع عليها عيناك، عمل مرهق لكن الاعتياد يجعله أمرًا يسيرًا.

قال لي (الأمير الصغير) ينبغي أن ترسم (البوباب) حتى يحْذره الأطفال إذا ما وجدوه يومًا على أحد الكواكب، أحيانًا لا ضرر أن تؤجل بعض عمل اليوم إلى الغد لكن مع (البوباب) التأجيل يعني كارثة محققة أعرف كوكبًا كان يسكنه كسولاً ترك ثلاث بوبابات فتمددت وتعملقت حتى...

أخذ يحكي ما أنزله (البوباب) بالكوكب وأنا أصور تلك الكارثة رسمًا، وفي رأيي أنّ الصورة أبلغ في تصوير كارثة (البوباب) من الكلمات، وسأكتفي بأن أكتب تحت الصورة: "احذروا (البوباب) "

رغم أن صديقي (الأمير الصغير) لم يتعرض لكارثة (البوباب) إلا أنه يفضل الوقاية من الكارثة قبل وقوعها، ولهذا فقد تحملت من أجل أصدقائي الأطفال مشقة رسم (البوباب)، فمن أجلهم تهون كل المشقات.



قد يخطر على بالك سؤال فتقول لي : "لماذا لم تأتِ رسوماتك كلها في قوة تأثير البوباب؟" فأقول : "كانت ملهمتي في رسم (البوباب) رغبة قوية في تحذير الأطفال من هذا البوباب".

(٦)



شيئًا فشيئًا بدأت أعرف عن أسرار (الأمير الصغير) وحياته البسيطة الحزينة، عرفت أنك أميري الصغير تعشق الغروب، وأن متعتك الكبرى أن ترنو إلى الشمس لحظات المغيب، عرفت هذا السر في اليوم الرابع حين قلت لي:

ـ أعشق الغروب هيا نستمتع الآن بهذا المشهد الفريد.

ـ علينا الانتظار.

ـ الانتظار!! ولماذا الانتظار؟

ـ حتى يحين الغروب.

رأيت الدهشة على وجهك وتقول ساخرًا:

ـ دائمًا أظن نفسي في وطني.

نعرف جميعًا أن الوقت حين يكون ظهرًا في الولايات المتحدة نجد الشمس في فرنسا تميل نحو الغروب، فلو أنك استطعت السفر في دقيقة واحدة إلى فرنسا أمكنك مشاهدة الغروب، لكن فرنسا للأسف بعيدة عنا الآن، أما على كوكب (الأمير الصغير) فليس هناك داع للسفر، ما عليك سوى أن تنتقل بكرسيك خطوات تجاه الغرب فتشهد نهايات النهار وهبوط أشعة الغسق الذهبي تغلف مشهد الغروب.

قال لي (الأمير الصغير):

ـ في يوم واحد شاهدت أربعة وأربعين غروبًا، حين تكون حزينًا يمتعك كثيرًا مشهد الغروب.

ـ أظنك في ذلك اليوم كنت في حزن شديد.

ولم يعلق (الأمير الصغير)

(٧)

في اليوم السابع تكشف لي ؛ وبفضل الخروف أيضًا ؛ سرًا آخر من أسرار حياة (الأمير الصغير) عندما سألني فجأة وبلا مقدمات سؤالاً أظنه وليد تفكير عميق :

ـ إذا كان الخروف يأكل الشجيرات الصغيرة، فهل تراه يأكل الورود أيضًا؟

ـ الخروف يأكل كل ما يجده.

ـ حتى الورود ذات الأشواك؟

ـ حتى الورود ذات الأشواك.

ـ وما فائدة الأشواك إذًا؟

لم أهتم بالإجابة عن سؤاله إذ كنت منهمكًا في إصلاح المحرك ومحاولة فك صمولة تأبى أن تنحل، وفي الوقت نفسه يتزايد قلقي على ما معي من ماء قليل، وأخشى أن تتدهور الأمور إلى الأسوأ.

ووسط همومي هذه وجدته يقول:

ـ الأشواك، ما فائدة الأشواك للورود؟

ـ لا فائدة، فقط لإغاظة الآخرين.

صمت لحظة وتفكر ووجدته غاضبًا:

ـ لا أصدقك، الأشواك سلاح مميت تحتمي به الورود الضعيفة.

لم أقل شيئًا حيث كنت غارقًا في همومي، وأحدث نفسي: "هذه الصمولة إذا لم تطاوعني سأدق رأسها بالمطرقة" غير أني فوجئت به يقتحم عليّ تلك الهموم وهو يقول:

ـ وهل تعتقد أن الورود...

ـ لا، لا أعتقد في شيء، أجبتك بما خطر على ذهني، ألا تراني مشغولاً بأمور خطيرة؟

نظر مأخوذًا:

ـ أمور خطيرة؟!

ظهرتُ في عينيه ممسكًا مطرقة في يد ملطخة بالشحوم منحنيًا على شيء في عينيه قبيح، صاح ساخطًا:

ـ أمور خطيرة؟! أنت تتحدث كالكبار.

أشعرتني كلماته بالخجل، وراح يواصل بلا تسامح:

ـ أنت تخلط الأمور بلا تمييز.

وارتفع الغضب درجات واهتزت في الهواء خصلات:

ـ أعرف رجلاً ذا وجه أحمر يعيش في كوكب بعيد، لم ينظر يومًا نجمة، لم يكابد حبًا، لم يعرف طوال حياته سوى الأرقام، كان ذو الوجه الأحمر يردد طول النهار مثلما تردد الآن "أنا مشغول بأمور خطيرة"، حتى انتفخ غرورًا وتورمت ذاته، ولم يعد ذو الوجه الأحمر إنسانًا، صار بالونًا منفوخًا.

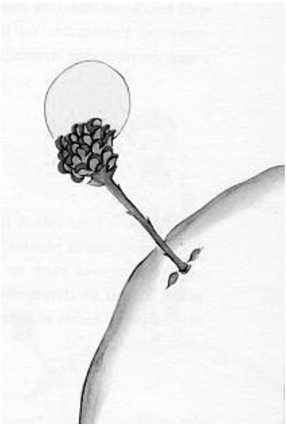
ـ صار ماذا؟!

ـ بالونًا منفوخًا.

واستمر (الأمير الصغير) يكاد يقتله الغضب:

ـ منذ ملايين السنين والورود تنتج أشواك والخراف غير مبالية تلتهم الورود، أليست تلك مسألة خطيرة تستوقف الاهتمام؟ ونحاول أن نفهم لماذا ترهق الورود أنفسها بإنتاج الأشواك مادامت لا تحميها من الهلاك؟

أليست الحرب بين الورود والخراف مسألة مهمة، بل أهم من حسابات ذي الوجه الأحمر؟ ألا تعتقد أنك لو عرفت وردة فريدة في الكون كله اختارت العيش معك في كوكبك



وستتعرض ذات صباح للقتل من خروف طائش بقضمة واحدة ولا يبالي، مسألة غير خطيرة؟!
واختنقت الكلمات وعلا النشيج.

جاء الظلام وتركتُ مطرقتي وأدواتي والصمولة والعطش والموت ووجدتني أفكر في مسألة واحدة، في نجمة واحدة، في كوكب الأرض، في أميري الصغير، ضممته وهززته في رفق:
وردتك محبوبتك لن تعيش في خطر، سأرسم من أجلها للخروف كمامة، وسياجًا يحمي وردتك، وسوف...

لم أعرف ماذا أقول حتى أرضيه وتعود الطمأنينة إلى قلبه ويتوقف نهر الدموع. ما أعجب أسرار عالم الدموع.

(٨)

عرفتُ عن وردة (الأمير الصغير) تفاصيلَ كثيرة، وعرفتُ أن ورودًا كانت دومًا تنمو في كوكبه، وورودًا بسيطة أثوابها، وريقات بسيطة تولد في الصباح ثم تموت وسط العشب في هدوء في المساء، وما بين الحياة والموت لا يدري بها أحد.



وظل الحال هكذا حتى جاءت ذات يوم بذرة ضئيلة لا يدري أحد من أين جاءت، ونمت البذرة حتى صارت غصنًا صغيرًا ظنه للوهلة الأولى غصن نوع جديد من (البوباب)، وظل يرقبه باهتمام حتى رأى الغصن يلد برعمًا كبيرًا فشعر أن معجزة توشك أن تولد، لكن

تلك المعجزة "الوردة" لم تحب أن تخرج إلى العالم كأي نبات بري أشعث، وآثرت الوردة البقاء في مخدعها الأخضر تضفي لمسات ساحرة إلى محياها، وأخذت تنتقي لثوبها أبهى وأجمل الألوان، وظلتْ ترتب جدائلها حتى اكتملتْ زينتها وصارت في أروع آيات الجمال، وجاءت الوردة إلى العالم في موكب الشروق يفوح منها شذى عبق الكوكب أيامًا.



رأت (الأمير الصغير) في انتظارها، تأوهتْ في دلال، ولم يستطع كتمان إعجابه، وقالت:

ـ عفوًا، خصلاتي غير مرتبة. نهضت توًا من فراشي.

ـ أوه، ما أجملك.

قالت في عذوبة:

ـ تراني جميلة؟ لقد ولدت مع الشمس.

شعر بغرور يغلف كلماتها، أدرك أنها وردة لا تميل إلى التواضع لكنها فاتنة ساحرة تستميل القلب.

قالت له فجأة في تيه ودلال:

ـ أظن هذا وقت الإفطار، هل تتلطف وتحضر لي الفطور؟



اضطرب خجلاً وسارع يحضر لها ما تريد، ظل يعتني بها وظلت تعذبه تيها ودلالاً، كان عذابًا عذْبًا أشعل القلب هيامًا...



قالت له يومًا وهي تتباهى مستعرضة شوكاتها:

ـ دع النمور تأتي بمخالبها.

ـ نمور!! ليس بكوكبي نمور، ثم إنها لا تأكل الأعشاب.

قالت في رقة آسرة:

ـ أولاً: أنا لست عشبه، ثانيًا: أنا لا أخشى النمور، ولا أفزع من شيء سوى الرياح، أظن لديك ستارًا يقيني الرياح.

حدّث (الأمير الصغير) نفسه "فزع ورياح، هذا فأل لكوكبي غير حسن، هذه الوردة مخلوق غير بسيط لا يستطيع عقلي أن يفهمه".

ثم قالت له الوردة:

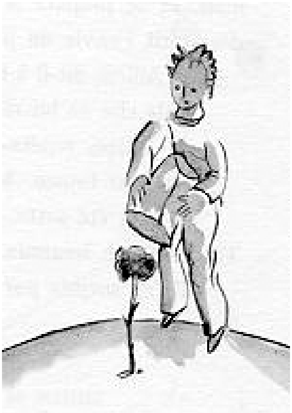
ـ في الليل ضعني تحت كرة بللورية، أشعر أن كوكبك بارد وأنا جئت من كوكب بعيد، ثم إنني...

وأمسكت فجأة عن الحديث، إذ أدركت أنها قد جاءت إلى كوكب (الأمير الصغير) وهي مازالت طفلاً جنينًا لا يدري من الكون مكانًا، أحست الوردة بحرج شديد وهي تنزلق داخل كلمات عارية من الصدق، وحتى تداري ورطتها أخذت تسعل بشدة حتى يشفق عليها (الأمير الصغير) بل ويحس نحوها بالتقصير:

ـ أحضر الكره البللورية بسرعة لو سمحت.

ـ كنتُ سأحضرها لك وأنت تتحدثين عن...

افتعلتْ المزيد من السعال الشديد، فذهب (الأمير الصغير) مسارعًا في إحضار ما تريد.



كان (الأمير الصغير) رغم ما أوتي من صفاء القلب وشغفه في حبها لا يشعر ساعةً بالسكينة في حديثها، كانت تؤرقه ظاهر كلمات الدلال والغرور، ولم يستطع إدراك الحب في باطنها، وصار شقيًا بحبها.

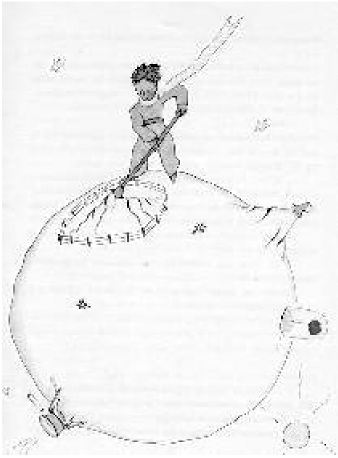
سمعَتْهُ يوما يناجي نفسه "ليتني ما أصغيت يومًا إلى وردتي، لا ينبغي لأحد الإصغاء للورود، كان يكفيني متعة النظر إلى جمالها وتنسم عبيرها، ما أشقاني الآن مخلوقًا معذبًا في غرام وردتي".

وتواصلت النجوى: "في الحقيقة لم أعد افهم أي حقيقة، كان ينبغي أن أحكم على وردتي لا بظاهر كلمات الدلال إنما بحقيقة الأفعال، لقد غمرتني رغم التيه والدلال بعبير جمالها الفتان فلماذا تركتها، كان لابد لي أن أستشعر الحب الكامن خلف الغرور والدلال، لكن ماذا كان بوسعي وأنا صغير لا أفهم في تناقضات الورود ولا كيف السبيل إلى قلوبهن.

وظل (الأمير الصغير) هائمًا في عالم المناجاة.

(٩)

أشعر يقينًا أن (الأمير الصغير) هاجر من كوكبه كما الطيور، وأنه في يوم الرحيل استيقظ مبكرًا، رتّب كل شيء في كوكبه، ونظف بركانيه بكل عناية ممكنة، فقد كان لديه بركانان نشيطان وثالث خامد، كان يستخدم النشيط في إعداد فطور ساخن، وكان يواظب على تطهير البراكين يوميًا، فلا أحد يضمن أن يظل الخامد خامدًا، فقد ينشط يومًا وتحدث متاعب، هذه هي طبيعة البراكين، إذا ما نظفتها بعناية اشتعلتْ كنار هادئة في مدفئة، لا تُدهش فأنا أعرف أن الأمر على كوكبنا الأرض مختلف ولا نستطيع تطهير براكيننا، وهذا يرجع إلى حجمنا الضئيل مقارنة بالبراكين العملاقة، وهذا يفسر أيضًا ما يحدث لنا من كوارث بركانية.



في يوم الرحيل اقتلع (الأمير الصغير) آخر غصن (بوباب) وقعت عليه عيناه، في ذلك اليوم كان الحزن والأسى يملئا قلبه وهو يرتب كوكبه كأنه لن يرجع إليه يومًا، ثم ذهب إلى وردته كي يرويها ويعد لها المأوى تحت الكره البللورية. وفي اليوم الأخير خاطبها والدمع يملأ عينيه :

ـ الوداع.

لم تنطق.

ـ الوداع وردتي.

سعلتْ بغير برد، وظلت صامتة، حتى قالت:

ـ سامحني أرجوك، كنت حمقاء، أتمنى لك السعادة.

فوجئ أن كلماتها تجردت من الغرور ولم يدرك سر هذا التحول:

ـ أحبكَ وسأظل أحبك، لكنك لم تفهم، ليس ذنبي أنك لم تفهم، دع الكره البللورية، لست في حاجة إليها.

ـ والرياح والبرد؟

ـ ليس ما بي من برد شديد، سأكون بخير عندما يأتي الليل.

ـ والحيوانات؟

ـ لابد من تحمل يرقة أو اثنتين إذا رغبت في صحبة الفراشات، من غيرها سيؤنس وحدتي في غيابك.

وأظهرت أشواكها في سذاجة وقالت في كبرياء تغالب الدموع:

ـ ما دمت قررت الرحيل ارحل، لا تتباطأ.

ورحل الأمير وانسالتْ دموع.

(١٠)

وجد (الأمير الصغير) نفسه قرب الكواكب القزمية (٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠) وقام بزيارتها واحدًا تلو الآخر تزودًا بالمعرفة.

كان أول تلك الكواكب القزمية يسكنه ملك عليه عباءة ملكية حمراء زاهية جالس على عرش ملكي بسيط، صاح الملك حين رأى (الأمير الصغير):

ـ ها هو أحد رعيتي.

تساءل (الأمير الصغير): "وكيف عرفني هذا الملك ولم يرني مرة واحدة في حياته". لم يدرك (الأمير الصغير) أن الملوك كلها ترى البشر جميعًا رعاياها، وأن الكون كله قرية صغيرة تحت سلطانها.

شعر الملك بالزهو عندما وجد أخيرًا من يمارس عليه سلطانه الملكي:

ـ اقترب يا هذا حتى أراك.

اقترب (الأمير الصغير) وراح يبحث عن مكانٍ خالٍ يجلس فيه فلم يجد سوى عباءة الملك تفترش الكوكب كله، فوقف ساكنًا وتثاءب.

ـ آمرك بعدم التثاؤب، هذا لا يليق في حضرة الملوك.

شعر (الأمير الصغير) بحرج شديد:

ـ آسف، فعلتها رغمًا عني.

ـ لا بأس، آمرك أن تتثاءب مرة أخرى، لم أر منذ سنين أحدًا يتثاءب، افعلها، هذا أمر.

ـ أوامر جلالتكم، لكني لا أستطيع التثاؤب الآن.

ـ إذًا آمرك بعدم التثاؤب حينًا والتثاؤب حينًا آخر.



هكذا هي الملوك ترى سلطانها على الرعية مطلقًا ينبغي أن يجد الاحترام والطاعة، وكان ملِكُنا هذا ذو سلطان مطلق، غير أنه يتمتع بذكاء وحكمة، فكانت

أوامره معقولة لا تخرج عن المستطاع. قال الملك للأمير الصغير كي يبرهن على حكمته ورجاحة عقله:

ـ إذا أمر جلالتنا لواءً أن يتحول إلى عصفور ولم ينفذ أمرنا، أتراه مخطئًا أم نحن المخطئون؟

تردد (الأمير الصغير) برهة وقال:

ـ أتسمحون لي بالجلوس؟

لملم الملك عباءته وأشار بيده:

ـ آمرك بالجلوس.

طاف (الأمير الصغير) ببصره على الكوكب فلم ير شيئًا سوى الملك وعباءته تغطي وجه الكوكب كله، حدّث (الأمير الصغير) نفسه: "أين الرعية التي يمارس عليها هذا الملك سلطانه؟" تردد ثم قال للملك:

ـ أتسمحون جلالتكم بسؤال؟

ـ آمرك أن تسأل.

ـ سموكم، على أي شيء تحكمون؟

أشار سموه بيده إشارةً شملتْ السماء والنجوم والكواكب والكون كله:

ـ على كل هذا.

ـ وهذا كله تحت سلطانكم؟!

ـ نعم تحت سلطاننا.

ـ وهل تطيعكم النجوم؟

ـ نعم تطيع أوامرنا على الفور، أنا لا أسمح بعصيان.

تعجب (الأمير الصغير) من تلك السلطة المهيمنة المطلقة لهذا الملك، ورأى أن ملكًا بمثل هذا السلطان يستطيع حتى دون أن يحرك كرسيه أن يرى غروب الشمس ليس أربعة و أربعين مرة فقط يوميًا بل مئات المرات إذا شاء، وبعثتْ ذكريات الغروب أشجان (الأمير الصغير) فتشجع وقال للملك:

ـ أتمنى أن أشهد منظر الغروب الآن، فهل يأمر سموكم الشمس بالغروب لتحقيق هذه الأمنية العزيزة.

ـ اسمع يا هذا، لو أنني أمرت لواءً أن يتحول إلى فراشة تتنقل من زهرة إلى زهرة، ولم يطع أوامرنا، فهل تراه المخطئ أم نحن المخطئون؟

ـ بالطبع أنتم.

ـ حسنًا، ولهذا يجب أن آمر كلاً بما يستطيعه، السلطة يا بني تقوم على الحكمة وليس التحكم، أترى لو أنك أمرت رعيتك أن يلقوا بأنفسهم في البحر، أهم مطيعوك؟ حتمًا ستثور الرعية عليك. وما دامت أوامري لا تتجاوز الحكمة والمستطاع، صار لي حق الأمر، وعلى الرعية واجب الطاعة.

ـ وماذا يا مولاي عن الغروب؟

ـ سيكون لك هذا لكن عليك الانتظار، يقول علمنا السلطاني عليك الانتظار حتى تتهيأ الظروف.

ـ ومتى تتهيأ تلك الظروف؟

همهم الملك وتمتم ونظر إلى تقويم كبير وقال:

ـ ستحقق أمنيتك فورًا في الساعة الثامنة إلا عشرين دقيقة تمامًا، وسترى حينئذٍ كيف تُطيع الشمس أوامري.

تململ (الأمير الصغير) وتثاءب وافتقد الغروب وقال:

ـ ليس لدي يا مولاي ما يُبقيني بكوكبك، سأرحل الآن.

قال الملك الذي شعر بالسلطان والعظمة أخيرًا بعد أن وجد أحد الرعية:

- لا ترحل أرجوك، سأجعلك وزيرًا

- وزيرًا؟

- نعم، وزيرًا للعدل.

- فيما العدل ولا يوجد بكوكبك مخلوق سواك؟

- لا تتسرع في الحكم... لم أتفقد مملكتي بعد، صرت عجوزًا، كما لا يوجد بكوكبي مكان لعربة تحملني.

طاف (الأمير الصغير) ببصره مرةً ثانية فلم ير غير الملك وعباءته فقط:

- تفقدتُ مملكتك الآن ولم أجد مخلوقًا غيرك.

- إذًا احكم نفسك، هذا أصعب من حكم الآخرين، لو أنك حكمتَ نفسك بالعدل فأنت حقًا حكيم.

- سأحكم نفسي، لكن ليس بالضرورة هنا.

- اسمع لدي سبب بسيط سيقنعك بالبقاء وقبول منصب وزير العدل، لدينا هنا فأر عجوز مختبئ الآن في مكان ما بكوكبي ستحاكم هذا الفأر وتصدر عليه حكمًا بالموت، وبعد ذلك يصدر جلالتي عفوًا عن

الفأر، وهكذا تمضي الأمور إعدام وعفو... وهكذا ستجد أن حياة الفأر تعتمد على عدلك وحكمتي، لا ينبغي لنا أن نقتل الفأر فالحكمة تقتضي أن نحافظ على حياته لأنه الرعية الوحيدة على ظهر كوكبي.

ـ لكني لا أحب الحكم على شيء بالموت، إني راحل.

ـ لا، لا، أرجوك لا ترحل.

ـ إذا أردت يا مولاي أن أطيع أوامركم فعليك أن تأمرني الآن بالرحيل، لدي دقيقة واحدة فقط وتتهيأ لي الظروف، ومن الحكمة أن تصدروا أمركم الآن.

تردد الملك، وعزم (الأمير الصغير) على الرحيل ومضي في طريقه فصاح الملك:

ـ جعلتك سفيرًا إلى النجوم.

تعجب (الأمير الصغير) من أمر هذا الملك عاشق السلطة.

"حقًا ما أعجب شأن الكبار".

(١١)



وهبط (الأمير الصغير) إلى الكوكب الثاني، كان مسكونًا برجل مغرور، هنّأ المغرور نفسه عندما رأى (الأمير الصغير) قادمًا: "ها هو أحد المعجبين قد جاء كي يتشرف بزيارتي".

لم يكن (الأمير الصغير) يدرك أن كل البشر في أعين المغرورين مُتيمين في حبهم.

حيّا (الأمير الصغير)، هذا المغرور:

ـ صباح الخير، أراك مرتديًا قبعة.

ـ لأرد بها على هتافات المعجبين، لكني الآن حزين، لم أسمع منذ بعيد صيحات الإعجاب، يبدو أن البشر قد انقطعوا عن هذه الطريق.

ـ فعلاً، لا أرى بشرًا.

ـ صفق أرجوك، أسمعني دويًا حادًا.

أخذ (الأمير الصغير) يصفق والمغرور يرفع قبعته تحية، حدث (الأمير الصغير) نفسه: "هذا الرجل مسلي أكثر من الملك"، وظل يصفق والمغرور رافعًا القبعة متظاهرًا بالتواضع، شعر (الأمير الصغير) بالضجر حتى تعبتْ يداه فقال للمغرور:

ـ ماذا أفعل لتهبط القبعة وتستقر على رأسك؟

تجاهل المغرور سؤال (الأمير الصغير) واستمرت القبعة مرفوعة والصغير يصفق... ثم قال له المغرور:

ـ أنت فعلاً معجب بي؟

ـ وما معنى معجب؟

ـ معجب هي أن تراني أكثر الناس وسامة وأحسنهم لباسًا وأكثرهم ثراءً وأذكاهم عقلاً.

ـ وكيف أراك كذلك وليس بالكوكب أحد سواك؟

ـ لا بأس، عبر عن إعجابك بشخصي أرجوك، جميل لن أنساه لك أبدًا.

ـ لكني لا أرى لك فائدة من وراء هذا التصفيق والإعجاب.

وكف (الأمير الصغير) عن التصفيق ومضى إلى حال سبيله وهو يقول: "ما أغرب الكبار وأمورهم الغريبة".

(١٢)



وكان الكوكب التالي يسكنه مُدمن، لم يمكث (الأمير الصغير) حتى امتلأ قلبه حزنًا وشفقةً على حال هذا المدمن. نظر (الأمير الصغير) فوجده متكومًا بجوار أكوام من زجاجات خمر مليئة وأخرى فارغة، سأله (الأمير الصغير):

ـ ماذا تفعل؟

قال المدمن بصوت مخمور:

ـ أشرب خمرًا.

ـ ولماذا تشرب؟

ـ كي أنسى.

ـ ماذا تنسى؟

ـ أنسى عاري.

ـ وما عارك؟

ـ شرب الخمر.

وتلاشى الصوت المخمور في كهف الصمت.

ومضى (الأمير الصغير) حيرانًا يتساءل: "ما هؤلاء الكبار وأفعالهم الشاذة؟"

(١٣)



أما الكوكب الرابع فكان مملوكًا لرجل أعمال، وكان الرجل مشغولاً حتى أنه لم يشعر بوجود (الأمير الصغير) بجانبه.

ألقى الأمير التحية :

ـ صباح الخير، أرى سيجارك قد انطفأ.

ـ ثلاثة واثنين خمسة، خمسة وسبعة اثني عشر، اثني عشر وثلاثة خمسة عشر، صباح الخير، خمسة عشر وسبعة اثنان وعشرون وستة ثمانية وعشرون، لا وقت لدي لأشعل سيجاري، ستة وعشرون وخمسة واحد وثلاثون،وبذلك تكون الحسبة كلها خمسمائة مليون وستمائة اثنان وعشرون ألف وسبعمائة وواحد وثلاثون.

ـ خمسمائة مليون ماذا؟

ـ أما زلت واقفًا؟ خمسمائة مليون، أرجوك لا وقت عندي، تراني مشغولاً بمسائل خطيرة، أنا لا تهمني التوافه، اثنان وخمسة سبعة...

ـ سيدي، ماذا تقصد بالخمسمائة مليون؟

ـ صه يا هذا، طوال أربعين عامًا على ظهر كوكبي هذا لم يقطع شيء عليّ حساباتي سوى ثلاث، الأولى وكانت أوزة طائشة، من أين جاءت؟ لا يعلم أحد إلا الله، وملأت كوكبي صياحًا حتى جعلتني أقع في ثلاثة أخطاء بالجمع، ثم المرة الثانية وكانت منذ أحد عشر عامًا عندما أصابني الروماتيزم

وجعلني الألم أصرخ حتى ارتكبت خطأ آخر، كما ترى لا وقت لدي أضيعه في تحريك مفاصلي، ثم المرة الثالثة بتشريف حضرتك الآن، ماذا تريد؟ آه أين توقفت حساباتي؟ نعم.. نعم عند خمسمائة مليون و.. و..

ـ سيدي خمسمائة مليون ماذا؟

وأدرك الرجل أن الصغير لن يدعه وحساباته في سلام حتى يحصل على إجابة:

ـ خمسمائة مليون شيء في السماء.

ـ خمسمائة مليون ذبابة؟

ـ لا ليس ذبابًا، اقصد أشياء تلمع.

ـ آه، تقصد النحل؟

ـ ولا النحل، أقصد أشياء صغيرة تتلألأ فتبعث في عقول البشر أحلامًا، لكني لا أهتم بالأحلام، لا تشغلني سوى المسائل الجليلة.

ـ آه فهمت، أتقصد النجوم؟

ـ نعم هي النجوم.

ـ وماذا تبغي من النجوم؟

ـ أبغي أن أحصيها.

ـ ولماذا تحصيها؟

ـ اسمع أنا رجل دقيق في غاية الدقة، أحصيها كي أملكها.

ـ تملك النجوم؟

ـ نعم.

ـ وما انتفاعك من امتلاك النجوم؟

ـ لا شيء، يكفيني الإحساس أني مالك النجوم.

ـ فهمت، كما تملك الملوك.

ـ لا المسألة مختلفة، الملوك تملك فقط ولا تحكم.

تحير (الأمير الصغير) من هذا الكلام، قال مستوضحًا:

ـ وبعد أن تملك النجوم ماذا تفعل؟

ـ أصبح ثريًا.

ـ وماذا تفعل بالثروة؟

ـ اشتري المزيد والمزيد من النجوم التي ربما اكتشفها شخص آخر.

همس (الأمير الصغير) لنفسه: "منطق رجل الأعمال هذا كمنطق ذلك المدمن المسكين" ثم قال للرجل:

ـ وكيف لأحد امتلاك النجوم؟

ـ يشتريها من مالكها.

ـ مبلغ علمي ألا مالك للنجوم.

ـ إذًا فأنا مالكها لأني أول من فكر في امتلاك النجوم.

ـ وهل لابد للنجوم من مالك؟

ـ حتمًا... سأشرح لك، عندما تجد ماسة ثمينة لا صاحب لها أصبحتَ أنت مالكها، وإذا اكتشفت جزيرة لم ينازعك أحد في ملكيتها صارت لك حتمًا، وهكذا إذا توصلت أنا إلى فكرة لم يسبقني إليها أحد صرت صاحبها بمقتضي حق الملكية الفكرية، وإذا جئنا إلى النجوم ترى الآن أني مالكها لأن غيري لم يسبقني إلى فكرة امتلاكها.

ـ فعلاً لم يسبقك أحد إلى هذا، لكن ماذا تفعل بالنجوم؟

ـ أقوم على شأنها وأحصيها، هذا كما تري عمل شاق لكن ما حيلتي وأنا بطبعي رجل جاد لا تشغله سوى المسائل الجادة.

لم يسترح (الأمير الصغير) لمنطق رجل الأعمال فقال:

ـ سيدي، إذا امتلكت وشاحًا وضعته حول عنقي، وإذا قطفت وردة حملتها معي حيث أريد، فهل أنت بمقدورك أن تقطف نجمة من السماء؟

ـ طبعًا ليس بمقدوري، لكنني أستطيع أن أودع النجوم في بنك.

ـ تودع النجوم في بنك! كيف هذا؟!

ـ بسيطة، أكتب عددها في ورقة ثم أودع الورقة في البنك.

ـ أهذا كل شيء؟ وما النفع لك؟

ـ يكفيني الشعور بالامتلاك.

ـ المسألة تبدو طريفة لكنها تخلو من شاعرية.

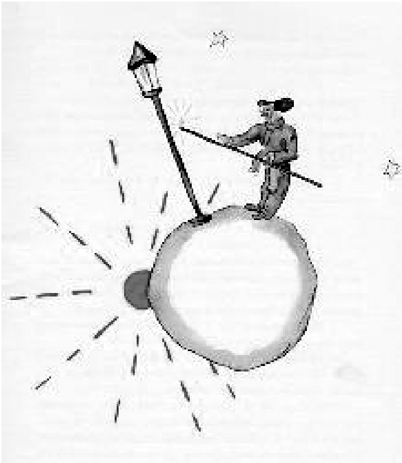
ولأن (الأمير الصغير) ينظر إلى الأمور بنظرة تختلف تمامًا عن نظرة رجل الأعمال هذا، فقال:

ـ اسمع سيدي، عندي وردة ليست لأحد غيري، أرويها كل يوم ماءً عذبًا، وعندي براكين صغيرة أطهر جوفها كل أسبوع، حتى الخامد منها أنظفه كي لا يثور فجأة، وعندما أمتلك هذه الوردة والبراكين فأنا ذو نفع لهم، أما أنت سيدي ما نفعك للنجوم؟ وماذا يعود عليها من امتلاكك لها؟ لا شيء، أنت سيدي لا شيء.

وذهب (الأمير الصغير) تاركًا رجل الأعمال فاتحًا فاه دهشة، وقال الصغير:

"أمورهم جميعًا في غاية الدهشة والشذوذ".

(١٤)



كان الكوكب الخامس أغرب الكواكب جميعًا، كان صغيرًا لدرجة أنه لا يسع سوى عامود إنارة وعامل إنارة فقط. اندهش (الأمير الصغير) لوجود العامل والعامود بكوكب ليس به أحد غيرهما، لا بأس، قد يكون شأن هذا الرجل والعامود أفضل كثيرًا من شأن الملك والمغرور والمدمن ورجل الأعمال، هذا العامل

قطعًا لا يخلو عمله من فائدة، فعندما يضيء المصباح كأنما بعث الحياة في نجمة أو زهرة، وحين يطفئ المصباح تغفو النجوم وتخلد الزهور إلى النوم. عمل صغير جميل حقًا.

اقترب (الأمير الصغير) من عامل المصباح وحياه في احترام:

ـ صباح الخير سيدي، لماذا أطفأت المصباح؟

ـ الأوامر تقضي بذلك، صباح الخير.

ـ وماذا تقول الأوامر؟

ـ أن أطفئ المصباح الآن.

وبعد قليل أضاء العامل المصباح، قال الصغير:

ـ لكنك أطفأته منذ قليل؟

ـ نعم، ألم أقل لك إنها الأوامر، مساء الخير.

ـ مساء الخير، لكنني لا أفهم شيئًا.

ـ لا داع للفهم، إني أنفذ الأوامر.

ثم أخرج العامل من ثيابه منديلاً أحمر؛ كاروهات؛ ومسح جبينه وأطفأ المصباح قائلاً:

ـ صار العمل الآن شاقًا، لم يكن من قبل بهذا الشقاء، كان عملاً هينًا يسيرًا، وكانت الأوامر تقضي أن أضيء المصباح في المساء ثم أطفئه في الصباح، وكان ما بين الشروق والغروب متسعًا أفعل ما أشاء، وعندما يأتي الليل أستمتع بنوم عميق.

ـ وما المشكلة الآن، هل تغيرت الأوامر؟

ـ المشكلة أن الأوامر كما هي ثابتة لا تتغير، والكوكب يزداد سرعة في دورانه كل يوم.

ـ ثم ماذا؟

ـ ثم ماذا!؟ ثم صار الكوكب يدور الآن دورة كاملةً في دقيقة واحدة، ولم يعد لدي ثانية واحدة أستريح خلالها، أصبحتُ كل دقيقة أشعل المصباح وأطفئ المصباح، أشعل المصباح وأطفئ المصباح، حتى ضاقت نفسي بالعمل والحياة.

ـ شيء عجيب فعلاً، يوم طوله دقيقة واحدة فقط.

ـ لا تتعجب، مضى علينا الآن شهر ونحن نتكلم.

ـ شهر؟!

ـ نعم شهر بالتمام والكمال، ثلاثين دقيقة بثلاثين يوم، مساء الخير، لابد أن أشعل المصباح.

شعر (الأمير الصغير) بالتعاطف مع هذا الرجل الذي أضناه الشعور بالواجب والإخلاص في العمل، وشعر نحوه بالحب والاحترام، وتذكر كيف أنه لم يكن يفعل أي شيء كي يستمتع بمشهد الغروب سوى أن يغير اتجاه كرسيه فقط نحو الغرب، وقال (الأمير الصغير) مقترحًا:

ـ عندي فكرة توفر لك الراحة وقتما تشاء.

ـ ادركني بها أرجوك، لا أريد إلا الراحة.

ـ طريقة ستمكنك من الاستمتاع بالراحة والفراغ وأداء العمل في نفس الوقت.

ـ وما الطريقة؟

ـ في غاية السهولة، طبعًا كوكبك صغير لا يتجاوز ثلاث خطوات.

ـ جميل، ثم ماذا؟

ـ ما عليك إلا أن تمشي ببطء نحو الشرق، ستجد نفسك في النهار دائمًا وهنا الراحة والصباح.

ـ الراحة والنهار نعم، لكن ما يهمني أكثر النوم، النوم ولا شيء أحب إليّ من النوم.

ـ أرى فكرتي لا تروق لك، أنت إنسان لا حظ لك.

ـ أنا فعلاً تعس لا حظ لي في الدنيا.

ثم أطفأ المصباح، وذهب (الأمير الصغير) إلى حال سبيله يحدث النفس: "لو عرف الملك والمغرور والمدمن ورجل الأعمال أمر هذا العامل، سيحتقرون شأنه، لكنه في عيني الشخص الوحيد الجدير حقًا بالاحترام، ولو أنني متخذ صديقًا لكان هذا الرجل، لكن للأسف كوكبه لا يتسع لاثنين".

وكان (الأمير الصغير) يتمنى في الحقيقة أن يعيش مع الرجل على هذا الكوكب حتى يستمتع بغروب الشمس في اليوم الواحد ليس بـ(٤٤) غروبًا فقط بل بـ(١٤٤٠) غروبًا.

(١٥)



وكان الكوكب السادس أكبر عشر مرات من كوكب رجل الأعمال، وكان يسكنه عجوز يضع أمامه كتبًا ومجلدات ودفاتر ضخمة، صاح العجوز عندما رأى (الأمير الصغير):

ـ ها هو مستكشف قادم إلينا.

جلس (الأمير الصغير) على حافة المكتب يلهث من تعب السفر حتى عاجله العجوز بسؤال:

ـ من أين جئت؟

فقال له (الأمير الصغير):

ـ ما هذا الدفتر الضخم، وماذا تفعل به؟

ـ أنا جغرافي.

ـ وما الجغرافي؟

اعتدل العجوز واتخذ هيبة العلماء:

ـ الجغرافي يا بني رجل عالم بمواقع البحار والمدن والأنهار والصحارى والجبال.

فسأل (الأمير الصغير) الجغرافي:

ـ وهل على كوكبك أي من هذه؟

ـ لا أعلم يقينًا.

ـ وهل بكوكبك محيطات؟

ـ وهذه أيضًا لا أعلمها.

ـ كيف لا تعلم وأنت جغرافي؟

ـ نعم أنا جغرافي ولكن كيف لي أن أعلم وليس في كوكبي مستكشف واحد ليخبرني ما بكوكبي، الجغرافي يا بني ليس من اختصاصه الترحال والاستكشاف وإحصاء عدد المدن والصحارى والجبال والمحيطات،

الجغرافي يا فتى وقته أثمن من أن يضيع في مثل هذه الأشياء، ما على الجغرافي إلا أن يجلس في مكتبه لا يغادره لحظة واحدة حتى يأتي إليه الرحالة والمستكشفون فيقصوا عليه ما شاهدوه في ترحالهم وأسفارهم، وبعد ذلك يبدأ الجغرافي التحقق من صحة رواياتهم بالتحري أولاً عن حسن أخلاقهم.

ـ ولماذا سيدي عليك بالتحري أولاً عن الأخلاق وليس التحقق من صحة الاكتشاف؟

ـ الأخلاق شيء أساسي لأن الرّحالة المدمن يجلب الخراب على علم الجغرافيا.

ـ كيف ذلك؟

ـ الرحالة المدمن يرى الشيء شيئين والجبل اثنين والمحيط محيطين.

ـ أعرف مدمنًا سكيرًا من الممكن أن يصبح رحالة رديئًا.

ـ ممكن، كل شيء ممكن، ولهذا واجب الجغرافي التحقق أولاً من أخلاق الرحالة وبعد ذلك فليسأل عن الاكتشاف ما يشاء.

ـ ولماذا سيدي تتحمل كل تلك المشقة في التحري والتحقق الأخلاقي؟ أليس من الأفضل أن ترحل وتتحقق من صحة الاكتشاف بنفسك؟

ـ لا، لا يا بني، هذه مسألة شاقة مجهدة ومعقدة، يكفيني فقط أن يقدم الرحالة دليلاً ماديًا على صدق وجود اكتشافه، كأن يقدم مثلاً قطعة صخر إذا كان الاكتشاف جبلاً.

وانتاب رجل الجغرافيا فضول فسأل (الأمير الصغير):

ـ أظنك جئت من مكان بعيد، أنت الآن رحالة، قص عليّ ما بكوكبك.

فتح الجغرافي دفترًا ضخمًا وأمسك قلمًا رصاص، كان الجغرافي في عمله، يبدأ أولاً بكتابة روايات المستكشفين بالقلم الرصاص وبعد أن يتحقق من حسن أخلاق المستكشف وتقديم الدليل المادي على صحة وجود اكتشافه يبدأ بعد ذلك في تسجيل الاكتشاف بالقلم الحبر، تهيأ الجغرافي وقال:

ـ هيا تكلم، ماذا بكوكبك؟

ـ لا شيء مثير، فحيث أعيش كل شيء صغير صغير، بكوكبي ثلاثة براكين، اثنان نشيطان وثالثهم خامل، لكن الخامل قد ينشط يومًا، من يعلم؟

ـ مضبوط، من يعلم؟

ـ وعندي أيضًا وردة صغيرة.

ـ وردة؟ يا بني الجغرافيا لا تهتم بالورود.

ـ كيف يا سيدي والوردة أجمل مخلوق في كوكبي؟

ـ نعم قد تكون أجمل مخلوق لكنها فانية يا بني.

ـ فانية؟ وماذا تعني "فانية"؟

ـ فانية تعني أنها معرضة للهلاك والزوال.

ـ وهل وردتي معرضة لهذا؟

ـ نعم هي كذلك.

أخذ الأمير الصغير يلوم نفسه: "تركت وردتي وحيدة ليس لها في مواجهة العالم سوى شوكات أربعة".

ثم قال للجغرافي:

ـ أي كوكب تنصحني بزيارته؟

ـ أنصحك بالأرض، كوكب له شهرته بين الكواكب.

وغادر (الأمير الصغير) كوكب الجغرافي وهو يفكر في حال وردته.

(١٦)

هبط (الأمير الصغير) إلى الأرض، كان كوكب الأرض ليس كأي كوكب زاره (الأمير الصغير) من قبل، فعلى الأرض تجد (١١١) ملكًا – ضمن هذا العدد ملوك القبائل في إفريقيا – و(٧ آلاف) جغرافي، و(٩٠٠ ألف) رجل أعمال، و(٧٥ مليون) مُدمن، و(٣١١ مليون) مغرور، و(٢ مليار) شخص من هؤلاء الكبار.

ولتأخذ فكرة بسيطة عن حجم كوكب الأرض أقول لك إنه قبل اختراع الكهرباء كانت تحتاج جيشًا من عمال الإنارة لإضاءة شوارع جميع القارات، وإذا نظرت من الفضاء على هذا الجيش تراهم كراقصي باليه في الأوبرا، يبدأ المشهد بدخول عمال الإنارة في نيوزيلندة واستراليا حاملين المشاعل، ثم تخفت الأضواء ويظهر عمال الإنارة في الصين واستراليا على جانبي المشهد، ثم تتلاشي أضوائهم فترى عمال

روسيا والإنديز وإفريقيا وأوربا وأمريكا الشمالية، مشهد كوني رائع يؤديه العمال كل يوم في نظام وإتقان.

وإذا نظرت إلى القطبين الشمالي والجنوبي تجد أن عامل الإنارة في الشمال وزميله في الجنوب ينعمان بالراحة والنوم طوال العام وما عليهما إلا أن يشعلا المصباح مرتين فقط في السنة كلها.

(١٧)

أرجو أن تسامحوني عندما تحدثت عن تعداد الأرض وضخامة جيوش عمال الإنارة إذ لم أكن صادقًا فيما قلتُ غير أنني لم أقصد إلا الدعابة، وهذا جعلني أبالغ كثيرًا في حجمهم، وحتى لا أسقط في الكذب فالحق أقول إن سكان الأرض جميعهم إذا احتشدوا في بقعة واحدة؛ كما يحتشدون في الاحتفالات الجماهيرية؛ لن يشغلوا مساحة تزيد عن عشرين ميلاً مربعًا، أو يمكن حشرهم جميعًا في جزيرة صغيرة بالمحيط الهادئ.

بالطبع لن يروق كلامي هذا الكبار لأنهم يتوهمون في أنفسهم أهمية أراها كـ(البوباب)، خذ هذه الحقيقة وألقها عليهم واتركهم غارقين في الحساب والأرقام حتى يصلوا بأنفسهم إلى إدراك صدق ما أقول، أما أنت فلا تزعج نفسك بحديث الأرقام لأني أعرف أنك تثق في كلامي عن الكبار.

عندما هبط (الأمير الصغير) إلى الأرض لم ير آدميًا واحدًا، فظن أنه زار الكوكب الخطأ، وظل يتلفت حتى رأى شيئًا ملتفًا يلمع في ضوء القمر وسط الرمال كسوار ذهبي، خاطبه (الأمير الصغير):

ـ مساء الخير.

ـ مساء الخير.

ـ ما الكوكب الذي أقف عليه الآن؟

قال الثعبان:

ـ الأرض، أنت الآن في إفريقيا.

ـ أليس في الأرض بشر؟

ـ أنت في الصحراء حيث لا بشر، الأرض كوكب وسيع.



جلس (الأمير الصغير) ونظر إلى السماء:

ـ أرى النجوم أضاءت أنوارها، أتفعل هذا ليعرف كل مخلوق نجمته، انظر كوكبي الآن فوق رؤوسنا، آه ما أبعده.

ـ كوكبك جميل لكن ماذا جاء بك إلى الأرض؟

ـ متاعب مع وردتي.

ـ فهمت الحكاية.

وساد صمت بين الصغير والثعبان حتى قال:

ـ أشعر في الصحراء بوحشة، أين البشر؟

وتأمل (الأميرُ الصغير) الثعبانَ:

ـ أنت مخلوق عجيب، جسمك رفيع كالأصبع.

ـ لكني أقوى من ملك.

ـ لا أراك قويًا، حتى إنك بلا أقدام ولا تستطيع الرحيل.

ـ لكني قادر أن أرسلك أبعد مما تستطيعه سفينة.

طوق الثعبان قدم (الأمير الصغير) كطوق ذهبي:

ـ لدغتي تعيد من ألدغه إلى رحم الأرض التي خرج منها، لكني أراك نقيًا جاء من السماء.

اندهش (الأمير الصغير) فخاطبه الثعبان:

ـ أشفق عليك من هذه الأرض، أنت مخلوق رقيق والأرض قلبها حجري، على أي حال إذا اشتد بك الحنين إلى وطنك، أستطيع مساعدتك على العودة ويمكنني أيضًا أن...

ـ أعرف كل ما تستطيع، لكن لماذا تتكلم بالألغاز؟

ـ الألغاز لعبتي.

وحل صمت بين الاثنين.

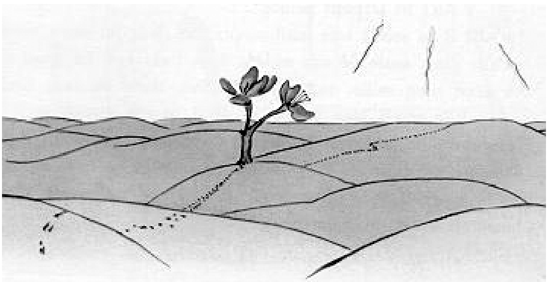
(١٨)

أخذ (الأمير الصغير) يسير في الصحراء حتى قابل وردة وحيدة لم تستحوذ على إعجابه، لكنه حياها في أدب :

ـ صباح الخير.

ـ صباح الخير.

ـ أين البشر؟



ولم تكن الوردة قد رأت من البشر سوى قافلة مرت عليها منذ سنين فقالت متذكرة فتردد صوتها كرجع الصدى:

ـ البشر، البشر، البشر على ما أظن مازال منهم أحياء لكن أين مستقرهم؟ لا أحد يعرف لهم مستقرًا، الرياح تحملهم دائمًا من مكان إلى مكان، مساكين لا جذور لهم، حياتهم مضطربة.

ـ أشكركِ، وداعًا.

ـ وداعًا.

ومضى (الأمير الصغير) يبحث عن البشر.

(١٩)



تسلق (الأمير الصغير) جبلاً شاهقًا وهو الذي لم يعرف طوال حياته سوى براكينه القزمية الثلاثة التي لا تكاد تصل إلى ركبتيه ارتفاعًا، وظل يصعد حتى وصل إلى القمة:

"أستطيع الآن رؤية كوكب الأرض والبشر جميعًا".

وأخذ يطوف بناظريه فلم ير إلا قممًا صخرية منتصبة كحراب عملاقة، هتف الأمير في صوت ودود:

ـ صباح الخير.

ـ صباح الخير، صباح الخير، الخير، الخير.

ـ من أنتم؟

ـ من أنتم، أنتم، أنتم.

ـ كونوا أصدقائي أنا وحيد.

ـ أصدقائي أنا وحيد، وحيد، وحيد.

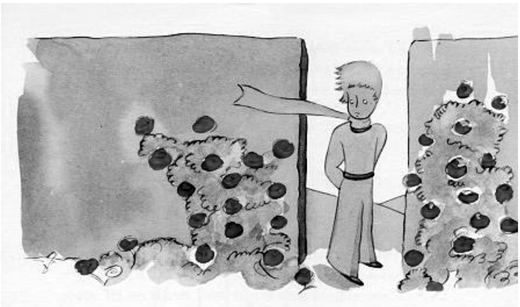
حدّث (الأمير الصغير) نفسه: "كوكب غريب قاحل لا روح فيه، ساكنوه لا عقل ولا خيال عندهم، يُرددون ما يسمعون، أين هذا من كوكبي ووردتي التي تبادلني الحديث دائمًا؟"

(٢٠)

شق (الأمير الصغير) طريقه وسط رمال وجليد وصخور حتى أتى طريقًا ظنه مثل كل الطرق تؤدي إلى البشر، وظل يمشي في الطريق حتى صادف بستان ورد، حيّا الأمير الورد:

- صباح الخير.

- صباح الخير.



دقق (الأمير الصغير) النظر في الورود ففوجئ أن جميعهن يحملن نفس ملامح وردته، فقال مأخوذًا بما يرى:

ـ من أنتن؟

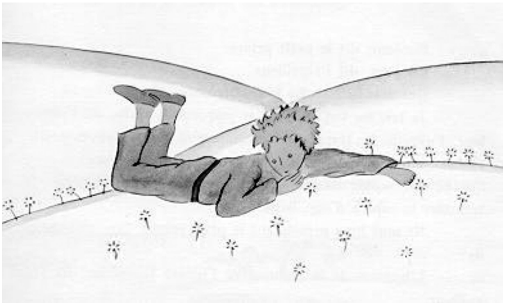
ـ نحن الورود.

شمله أسىً عميق، وتذكر كلمات وردته بأنها الوردة المتفردة التي لا يوجد سواها في الكون كله، صدّق كلماتها، لكن ها هو الآن يري آلاف الوردات أمام عينيه، وفي مكان واحد: "ماذا ستفعل وردتي عندما أخبرها بما رأيت، ستملأ الغيرة قلبها وتتظاهر بالسعال الشديد حتى أنها تكاد تختنق غيرةً، ولابد لي أن أتماسك وأمسك نفسي عن الضحك حتى لا تسمع وتكاد تموت كمدًا، ويجب أن أتظاهر بالخوف عليها، وأن روحي من أجلها تكاد تهلك قلقًا، فإن لم أفعل هذا ماتت وردتي غيظًا".

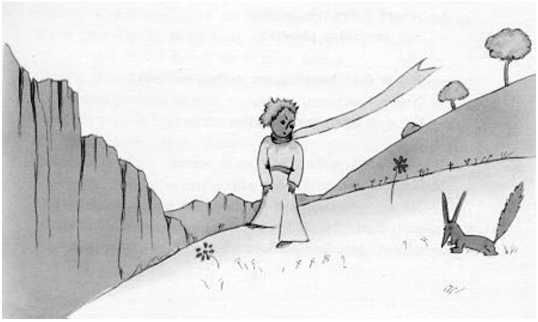
وواصل (الأمير الصغير) حديث النفس: "ظننتُ نفسي ثريًا عندي وردة لا مثيل لها في الوجود ثم اكتشف الآن أنها وردة عادية مثل آلاف الوردات، حتى براكيني ليست سوى أقزام صغيرة بل إن أحدهم

خامد، ولا ترتفع إلى ما فوق ركبتي، كل ما أملك لا يجعل مني أميرًا عظيمًا، ما أشقاني الآن".

وارتمى فوق العشب ينتحب.



(٢١)



هتف صوت :

ـ صباح الخير.

رد (الأمير الصغير) بعفوية فورية :

ـ صباح الخير.

ثم تلفت حوله فلم يجد صاحب الصوت.

ـ لا تتلفت أنا أمامك تحت شجرة التفاح.

نظر (الأمير الصغير) حتى رأى صاحب الصوت، قال :

ـ أنت جميل، من أنت؟

ـ أنا الثعلب.

ـ أنا حزين يا ثعلب، تعال العب معي.

ـ لا أستطيع.

ـ لماذا يا ثعلب؟

ـ لأني غير مستأنس.

ـ وما معنى "مستأنس"؟

ـ أراك غريبًا عن هذا المكان، عما تبحث؟

ـ البشر يا ثعلب، لكن ما معنى مستأنس؟

ـ تبحث عن البشر، البشر لا عمل لهم سوى حمل البنادق والمطاردة، لا أرى في البشر ميزة سوى تربية الدجاج، هل تبحث عن دجاج؟

ـ لم تقل لي يا ثعلب ما معنى مستأنس.

ـ مستأنس كلمة مهجورة تعني "إنشاء روابط".

ـ إنشاء روابط ؟

ـ نعم، إنشاء روابط بمعنى أن تكون في علاقة مع الآخر... سأشرح لك، أنت الآن في عيني لست

سوى فتى صغيرًا مثل آلاف الفتيان لا تعني لي شيئًا ولا تهمني في شيء، وأنا في عينيك كذلك، لكنك إذا ما استأنستني أصبحت تعني لي الكثير، تكون في عيني إنسانًا فريدًا لا نظير في الكون لك، وأكون في عينيك كذلك.

ـ بدأت الآن أفهم، أظن أن الوردة استأنستني.

ـ ممكن، كل شيء على الأرض ممكن.

ـ وردتي لا تعيش في الأرض.

تحير الثعلب وتملكه الفضول:

ـ أهي تعيش في كوكب آخر؟

ـ نعم.

ـ وهل هناك صيادون؟

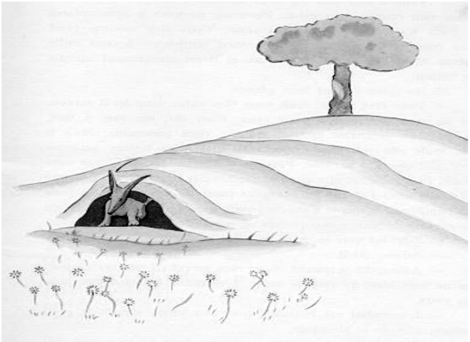
ـ لا يوجد.

ـ وهل هناك دجاج؟

ـ لا.

ـ خسارة، الحلو ما يكملش.

وعاد الثعلب للحديث عن حياته الأرضية:



ـ الملل يملأ حياتي، كل شيء رتيب ممل، أصيد الدجاج والبشر يصيدوني، وهكذا حتى صارت اللعبة مملة، لكنك إذا ما استأنستني اختلف طعم الأيام في قلبي، أصبحتَ شمسًا تنير وجودي، صارتْ أذني تألف خطاك، خطاك لحنًا يناديني، خطى الآخرين تفزعني، أترى حقول القمح؟

ـ أراها.

ـ كل السنابل لا توحي لي بشيء لأني لا آكل الخبز، لكن عندما تستأنسني سأذكرك كلما رأيت السنابل الذهبية، ستذكرني بشعرك الذهبي، سأذكرك عند همس الريح في قلب الحقول.

وظل الثعلب ينظر في حنان إلى (الأمير الصغير) ويقول:

ـ أرجوك استأنسني.

ـ أحب أن أستأنسك، لكن لا وقت لدي، هناك بشر ينبغي أن افهمهم، وأشياء كثيرة، يجب أن أفهمها.

قال الثعلب:

ـ لن تفهم إلا من استأنستَ، دعك من البشر لا وقت لديهم لاستئناس أي شيء، يُفضلون الأشياء الجاهزة ويذهبون إلى المتاجر لشراء المعلبات الجاهزة لكن هل تبيع لهم المتاجر "صديقًا معلبًا"؟ لهذا ليس للبشر صديق، إذا ما استأنستني صرتُ لك صديقًا.

ـ حسنًا، وماذا أفعل كي أستأنسك؟

ـ تجلس غير بعيد عني، ثم في هدوء تختلس من حين لآخر نظرات بطرف عينيك، ولا تتكلم فالكلمات تفسد حديث المشاعر، ثم تقترب يومًا بعد يوم شيئًا فشيئًا حتى يأنس كل منا الآخر.

في اليوم التالي جاء (الأمير الصغير) إلى الثعلب الذي قال له:

ـ من الأفضل أن تقابلني في نفس الموعد الذي تلاقينا فيه أول مرة.

ـ أفضل لماذا؟

ـ إذا كان موعد اللقاء في الرابعة مثلاً سأجد شعورًا بالسعادة يغمرني قبل الرابعة، وكلما اقترب الموعد ازدادت سعادتي، ومتى حان اللقاء تسارع خفقان قلبي وتواثب شوقًا إليك، لكنك إذا ما جئتني هكذا بلا موعد، فلن يعرف قلبي متى يخفق شوقًا ومتى تغمره أفراح اللقاء، تلك طقوس ينبغي أن تُراع.

ـ طقوس! وما معنى "طقوس"؟

ـ الطقوس كلمة هجرها البشر، كذلك الطقوس هي ما يجعل طعم يوم يختلف عن الآخر، ساعة عن أخرى. سأوضح لك أكثر، كل يوم خميس يخرج الصيادون للرقص واللهو مع فتيات القرية، ويخلو الجو لي وهكذا صار الخميس يومًا أثيرًا لدى قلبي، لكن لو أخذ الصيادون يلهون ويرقصون كل يوم،

صارت عندي كل الأيام سيان وفقد الخميس مكانته الأثيرة.

واستأنس (الأمير الصغير) الثعلب، وعندما حان وقت الفراق قال الثعلب ملتاعًا:

ـ قلبي يتألم، لا أحتمل آلام الفراق.

ـ ما قصدت إيلامك، لكنها كانت رغبتك في الاستئناس.

ـ لا لوم عليك.

ـ أرى دموعًا تملأ عينيك ألم يكن ما بيننا ودًا جميلاً؟

ـ كان جميلاً جميلاً، وسيترك في قلبي لذيذ الذكريات، وخاصة عندما أرى السنابل الذهبية، اذهب إلى الورد الآن، ستعرف أن وردتك فريدة حقًا في الكون كله، ثم ارجع إليّ لأهديك سرًا وأودعك.

تأمل (الأمير الصغير) الورد:

ـ يا ورود أنتن لا تماثلن وردتي في شيء، كلكن ورود ليس في قلبها حب، لم يستأنسكن أحد، أنتن كثعلبي حين قابلته أول مرة قبل الاستئناس.

شعرت الورود بالحرج الشديد، غير أن (الأمير الصغير) ظل يقول:

ـ يا ورود كلكن لا تماثلن وردتي، نعم أنتن جميلات لكن قلوبكن خاوية ليس فيها حب لأحد، ليس لكن محبوب يضحي من أجلكن، لكنما وردتي أعز مخلوق إلى قلبي حتى لو رآها أي عابر سبيل وردة عادية مثلكن، وردتي فريدة لا نظير لها في الكون لأنها وردتي التي رويتها ودافعت عنها الرياح، هي وردتي التي من أجلها قتلت اليرقات – ما عدا اثنتين حتى يصرن فراشات وتألفهن وردتي – أحبها حين تغضب وحين تتيه دلالاً وحتى عندما تتباهي بأشواكها، وردتي التي أسمع في قلب الصمت همسات حبها، إني أحبها وأحبها لأنها وردتي.

وترك (الأمير الصغير) الورود كدن يهلكن غيرةً من وردته ثم عاد إلى صديقه الثعلب:

ـ الوداع ثعلبي.

ـ تمهل قليلاً، إليك السر هديتي: "العيون لا ترى الحقيقة، القلب وحده يبصرها".

أخذ (الأمير الصغير) يردد وراء الثعلب كي لا ينسى: "العيون لا تري الحقيقة، القلب وحده يبصرها".

ـ عذاباتك في وردتك جعلتها في قلبك ثمينة، تناست البشر تلك الحقيقة أما أنت فلا تنس، أنت الآن أصبحت مسؤولاً عمن تحب، صرت مسؤولاً عن وردتك إلى الأبد.

ظل (الأمير الصغير) يردد تلك الكلمات لتظل حية دائمًا في قلبه: "صرتُ الآن مسؤولاً عن وردتي إلى الأبد".

وافترق الصديقان.

(٢٢)

قال (الأمير الصغير):

ـ صباح الخير.

رد عامل التحويلة:

ـ صباح الخير.

ـ ماذا تفعل؟

ـ أنظم حركة المسافرين، أضع كل مجموعة في قطار وأرسل هذا يمينًا وذاك شمالاً.

مرّ بالتحويلة قطار سريع، برقت عيناه وزمجر كالرعد، ارتعدت التحويلة، قال (الأمير الصغير):

ـ ياه، مندفعون كالإعصار، عما يبحثون؟

ـ لا أعرف ولا أحد يعرف، ولا حتى سائق القطار.

وجاء قطار آخر من الاتجاه المضاد منطلقًا كالصاروخ، قال (الأمير الصغير):

ـ رجعوا بسرعة.

ـ إنها ليست الأولى، هذه مجموعة أخرى.

ـ ولماذا رجعوا؟ ألم يرضوا بما ذهبوا إليه؟

ـ لا أحد يرضى بشيء.

ثم مرّ بهم قطار ثالث، قال (الأمير الصغير):

ـ وهؤلاء يحاولون اللحاق بالمجموعة الأولى؟

ـ لا يحاولون شيئًا، كلهم الآن نائمون، الأطفال فقط مستيقظون من خلف النوافذ ينظرون.

ـ الأطفال فقط يعرفون ما يريدون، يلهون مع عرائسهم كأنها صديق حميم، إذا حاول أحد انتزاعها من بين أحضانهم يصرخون.

ـ الأطفال حقًا هم المحظوظون.

(٢٣)

قال (الأمير الصغير):

ـ صباح الخير.

قال البائع:

ـ صباح الخير.

وكان البائع يبيع حبوب منع العطش، حبة واحدة تمنع عنك العطش لمدة أسبوع.

ـ لماذا تبيع هذه الحبوب؟

ـ اختراع عجيب يُغني عن الماء، أثبت الخبراء بالأرقام أنها توفر للإنسان (٥٣ دقيقة) تضيع في شرب الماء.

ـ وبعد أن تتوافر لي هذه الدقائق، ماذا أفعل بها؟

ـ افعل ما يحلو لك.

ـ أتعرف ما سأفعل؟ سأذهب لأرتوي من عين ماء.

(٢٤)

وفي اليوم الثامن شربتُ ؛ وأنا أستمع إلى حكاية بائع حبوب منع العطش ؛ آخر قطرة ماء كانت معي وقلت للأمير الصغير:

ـ حكاياتك ممتعة، لكن الماء نفذ، والمحرك مازال معطلاً، وأمنيتي الآن أن أقضي ما بقى لي من العمر بجوار عين ماء.

قال (الأمير الصغير):

ـ كان صديقي الثعلب يقول: "الموقف الآن يا صديقي لا ينفع معه كلام الثعالب".

ثم قال غير مدرك مدى خطورة نفاد الماء ودقة الموقف:

ـ جميل أن يكون للإنسان صديق حتى وهو موشك على الهلاك، أنا مثلاً سعيد أن الثعلب صار صديقي.

ماذا أقول لهذا الصغير الذي لم يجرب يومًا عطشًا ولا جوعًا ولا يعنيه من الدنيا سوى التمتع بمشهد الغروب.

ثم قال الصغير كأنما قرأ ما في نفسي:

ـ أشعر مثلك بالعطش الآن، هيا نبحث عن بئر.

كيف نجد بئرًا في صحراء شاسعة لا بداية لها ولا نهاية، كان البئر في هذا الموقف أشبه بالبحث عن مستحيل، لكن ليس أمامي سوى البحث عن هذا البئر المستحيل.

أخذتُ أسير و(الأمير الصغير) ساعات وساعات وسط صمت الرمال حتى هلكتْ قواي وهويتُ عند الليل إلى الرمال يقتلني الظمأ، أصابتني حمى العطش بهذيان شديد، فاختلط في عقلي الحلم بالواقع، رأيت نجوم السماء فلم أدري أهي تلمع في رأسي أم في السماء، نظر نحوي (الأمير الصغير) فرأيت أطراف كلمات تخرج من فمه، استجمعت قدرتي على الكلام وقلت في صوت جاف واهن:

ـ هل قتلك الظمأ مثلي؟
ـ الماء مفيد للقلب كذلك.

لم أفهم ما يقصد فآثرت في حالتي هذه السكوت، جلس إلى جواري ساكنًا وبعد برهة وجدته يقوله:
ـ النجوم جميلة تخفي في قلبها وردتي.
ـ فعلاً النجوم جميلة.

كان المشهد ساحرًا ونور القمر يغلف كثبان الرمال المترامية بضوء ذهبي شفاف، قال (الأمير الصغير):
ـ الصحراء فاتنة.
ـ أعشق سحرها، أحبها دائمًا، عندما تجلس إليها تحس بسكون وهدوء يتدفق في كيانها، تشعر بقلبها يفيض عليك سحرًا خاصًا غامضًا.

همس (الأمير الصغير):
ـ ينبع سحرها من عين ماء يفيض بقلبها.

أدهشني هذا التفسير الذكي الشاعري الذي فسر لي سرّ هيامي بالصحراء، وتذكرتُ طفولتي ودارنا القديمة وحكايات عن كنز مخبوء بقلبها، وظل الكنز كامنًا لم

يعثر عليه أحد، وظل الكنز المخبوء يضفي على دارنا هالة من السحر والغموض، وقلت لأميري الصغير:

ـ نعم صديقي، الدار والنجوم والصحراء يشع من قلوبها سحر غامض يبصره القلب ولا تراه العيون، وهذا سر الحب.

ـ يسعدني أنك تتفق الآن مع صديقي الثعلب.

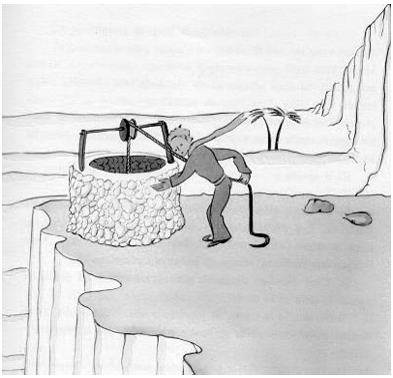
نام (الأمير الصغير) على صدري، حملته برفق وسرت تحت أضواء النجوم، ضممته إلى صدري إنسانًا رقيقًا كأرق ما يكون مخلوق، جاشت مشاعري نحوه حبًا، أبصرتُ جبينًا يشع ضياءً رقيقًا وخصلات ذهبية تراقص النسمات، كستْ قسماته ابتسامة هادئة فأدرك قلبي أن طيف محبوبته يلهو في الأحلام، ضممته في حنان شديد، أحسست لهيبًا دافئًا يسري في حنايا هذا الكيان العاشق الرقيق، وضممته كي أحمي الوهج المتألق رقةً من هبات النسيم، وظللت أسير ضامًا إلى قلبي أميري الصغير حتى وجدت في مشرق الصبح النبع المستحيل.

(٢٥)

قال لي (الأمير الصغير):

ـ رأيت البشر راكبين قطارًا لا يعرفون إلى أين ذاهبون، فيأخذون قطارًا آخر ثم لا يعرفون أيضًا إلى أين يذهبون، وهكذا يقضون العمر ما بين قطار وقطار.

وصلنا إلى البئر، لم تكن بئرًا كغيرها من آبار الصحراء مجرد ثقبًا عميقًا في جوف الصخور، كانت بئرًا قروية ولا قرية حولها.



قلت للأمير الصغير وأنا أنظر إلى البئر كأنني في حلم :

ـ انظر ها هي البئر، انظر إلى بكرتها وحبلها ودلوها، كأنما البئر عرفت بقدومنا فتهيأت للقاء.

تبسم (الأمير الصغير) وتحسس الحبل وأدار البكرة نشوانًا، تأوهت البكرة كطاحونة هجرتها الرياح منذ سنين، ترددت الآهات في قلب البئر فصارت لحنًا شجيًا يأسر القلب الظمآن.

ـ أيقظنا البكرة، سرَت فيها أنغام الحياة.

ـ دع الجهد لي لا ترهق نفسك.

أنزلتُ الدلو في قلب البئر، لامس الدلو المياه وغاص في قلبها فملأت أنغام ماء الحياة كياني، خرج الدلو مترعًا تتراقص على وجهه أشعة شمس الصباح.

ـ جرعة ماء تطفئ لهيب القلب الظمآن.

لامس الماء شفتيه، وارتشفت قطرات مشبعات، ابتهج كطفل تلقى هدية العيد، وارتشفتُ جرعةً ألذ من حلم جميل، ماء عذب ساحر ممزوج بغناء البئر وأضواء النجوم، روى القلب بعد معاناة رحلة الليل وسط

الرمال والصخور، تذكرتُ أفراح الطفولة وشجرة عيد الميلاد تشع أنوارًا ووجوه أطفال وهدايا وقلوب سرى فيها السرور.

ـ البشر لديهم ملايين الورود لكنهم لا يجدون في وردة واحدة ما يريدون.

ـ حقًا صديقي ما تقول.

ـ لأن العيون كليلة لا ترى ما تبصره القلوب.

أصبح الصبح واصطبغت الرمال بلون ذهبي رائق، سرتْ شحنة سعادة في كياني، قال لي (الأمير الصغير) بصوت باطنه الحزن:

ـ عليك الوفاء بما وعدت.

ـ أي وعد تقصد؟

ـ الكمامة للخروف، صرتَ مسؤولاً عن وردتي.

أخرجتُ الرسومات من جيبي، نظر (الأمير الصغير) إليها ضاحكًا:

ـ انظر أشجار (البوباب)، تبدو كالكرنبات، والثعلب أذنيه كقرني غزال.

ـ لا تبالغ، تعرف أني لا أتقن من الرسم سوى الأصلة من الداخل والخارج فقط.

ـ لا بأس، سيفهم الأطفال رسوماتك الساذجة في سهولة.

أخذتُ أرسم الكمامة وداهمني شعور غامض بالحزن، قلت وأنا أناوله الكمامة:

ـ أشعر أنك تداري عني شيئًا.

لم يفصح عما يداري، ووجدته يقول:

ـ تذكرت يوم هبوطي إلى الأرض، غدًا الذكري السنوية.

ظل صامتًا كأن ذكريات انسالتْ في وجدانه... قال:

ـ كان هبوطي في هذا المكان منذ عام.

تزايد الإحساس بالحزن، فقلت له بما خطر على عقلي:

ـ لم تأت إذًا إلى هذا المكان صدفة حين رأيتك أول مرة في الصباح، أظنك كنت تزور موقع الهبوط؟

تورد وجهه فأدركتُ أن السكوت علامة الرضى، وهممت أقول له بما في نفسي فقال:

ـ عليك الآن بالعودة إلى طائرتك وإصلاح محركها ثم الرجوع غدًا مساءً وسأكون في انتظارك.

لم تُبدد تلك الكلمات الشعور الغامض بالحزن الذي كسى قلبي وتذكرت الثعلب وآلام الفراق حين وداع صديقه (الأمير الصغير).

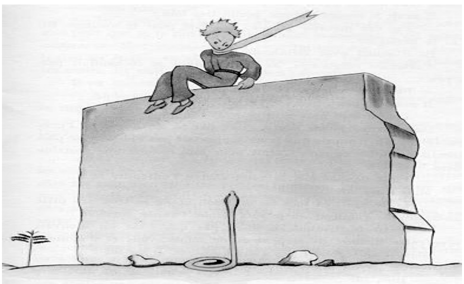
(٢٦)

كانتْ بجوار البئر أطلال جدار قديم، عندما عدتُ مساء اليوم التالي بعد إصلاح محرك الطائرة، رأيتُ من بعيد (الأمير الصغير) جالسًا على حافة الجدار، اقتربت وسمعته يقول لآخر:

ـ أنت لا تتذكر جيدًا، هذا المكان ليس هو المكان القديم.

وكأن الآخر قد جاوبه، فقال (الأمير الصغير):

ـ نعم، نعم، لكن المكان غير المكان.



واقتربتُ أكثر كي أرى الذي يحاوره، لكن لم أر ولم أسمع شيئًا، ورغم ذلك رأيت الأمير يقول له:

ـ تمامًا، سترى آثار أقدامي على الرمال، وما عليك إلا أن تقتفيها حتى تجدني في نفس المكان القديم.

واقتربتُ حتى لم يعد يفصلني عن الجدار سوى أمتار قليلة ورغم هذا لم أر الآخر، وسمعت (الأمير الصغير) يخاطبه:

ـ أمتأكد أن لك سمًا شديد المفعول لن يدعني أتألم كثيرًا؟.

اضطرب قلبي وتسمرت في مكاني وعجز عقلي عن فهم هذا الحوار الدائر بين (الأمير الصغير) وذلك الآخر، وسمعت (الأمير الصغير) يقول له:

ـ ابتعد عن الجدار قليلاً حتى أهبط.

فنظرتُ أسفل الجدار فرأيت ثعبانًا خطرًا إذا ما لدغ إنسانًا قضى عليه في ثوان،أخرجت مسدسي وأسرعت أقتل هذا الثعبان، لكنه تلاشى فورًا وسط الصخور، احتضنتُ أميري الصغير، كان وجهه شاحبًا.

ـ قل لي ما هذا؟ لماذا تتكلم مع الثعابين الشريرة؟

وفككتُ الوشاح الذهبي عن عنقه وبللت شفتيه بقطرات ماء، ولم أشأ أن أرهقه بأسئلة كثيرة، رأيت حزنًا عميقًا يملأ عيونه، طوقني بذراعيه، ضممته إلى صدري، كان قلبه يخفق مضطربًا كقلب عصفور ثقبته رصاصة، خرجتْ من فمه كلمات واهنة:

ـ أسعدني أنك أصلحتَ المحرك، تستطيع الآن العودة لوطنك.

ـ وكيف عرفت هذا؟

كنتُ فعلاً قادمًا لأخبره أن أمنيتي قد تحققت بإصلاح المحرك، وسمعته يقول في شجن عميق:

ـ وسأرجع أيضًا إلى وطني، رحلة شاقة وسفر طويل.

احتضنته حتى لامس قلبي قلبه وشعرت أن شيئًا غريبًا لا أفهمه يحدث، وأن أميري الصغير تدفعه قوة غامضة إلى مصير مجهول، وأني عاجز عن فعل أي شيء من أجله، نظر في عيني مودعًا:

ـ الخروف في جيبي والصندوق والكمامة.

ورأيتُ ابتسامة تشع في عينيه وماء الحياة يسري شيئًا فشيئًا في كيانه، وقلت لأميري الصغير:

ـ أرى خوفًا في عيونك.

تبسم في هدوء:

ـ والليلة سيكون الخوف أشد.

ذابت روحي ألمًا، كيف أطيق فراق صديقي أميري الصغير، كيف أتحمل شوق الروح لعينيه؟

ـ سأفتقدك، سأفتقد روحي، سأفتقد ضحكاتك.

ـ الليلة تكتمل السنة الأولى، ستأتي نجمتي فوق المكان القديم حيث هبطتُ أول مرة.

ـ صغيري، أرجوك، قل إن الثعبان ومكان اللقاء والنجمة ليسوا سوى حلمًا رديئًا.

لم يستجب لرجائي وقال لي:

ـ الجوهر لا تراه العيون، تدركه القلوب

ـ أدركتُ الحقيقة.

ـ وأدركتُ أنا أيضًا حقيقة علاقتي مع وردتي، عندما تحب وردة تسكن النجوم ترى السماء ليلاً حديقة تتلألأ وردًا في عينيك.

ـ أدرك.

ـ وأن الظمأ والشوق إلى الماء وغناء البئر امتزجت فصار الماء للقلب نبع الحياة.

ـ أدرك.

ـ انظر إلى السماء، سترى نجمتي في الليل بين ملايين النجوم، لن تعرف في أي نجمة أعيش، وهذا شيء حسن، سترى كل النجوم أصدقاء لك، أتسمح أن أهديك سرًا؟

وضحك ضحكة ملأت القلب حياة.

ـ صغيري ضحكاتك أحب الأشياء إلى قلبي.

ـ سأهديك سرًا يروي القلب كما الماء الذي روى قلبينا

ـ تفضل أميري الصغير.

ـ ستكون لك نجوم ليستْ لبشرٍ سواك، تعرف أن للمسافر نجومًا تهديه، وللعالم نجومًا يراها مسألة فلكية، ولرجل الأعمال ذي الوجه الأحمر نجومًا يراها رصيدًا في البنك، كل هؤلاء الكبار نجومهم خرساء، أما أنت فستكون لك نجوم لم تُمنح لأحد قبلك، ستكون لك نجوم ضاحكة.

ـ كيف؟

ـ ستنظر في الليل إلى النجوم، ستأتيك منها ضحكاتي وهكذا تكون لك نجوم ضاحكة.

وضحك ضحكةً جميلةً عذبةً كأجراس عيد الميلاد:

ـ وبعد أن تهدأ أحزانك، فالزمان يخفف الأحزان، تحس في قلبك حلاوة صداقتنا، تشتاق إلى لقائي، تفتح نافذة الدار وتنظر إلى السماء، إلى النجوم حيث أعيش، تسمع ضحكاتي فتضحك ملء قلبك، ويظن الكبار أن بك مسًا من النجوم.

ثم ضحك (الأمير الصغير):

ـ ضحكات النجوم، أجراس الحياة، لحن الذكريات الجميلة.

ثم بنبرة فيها الحزن وجدته يقول:

ـ تعرف ما سيحدث معي الليلة، أرجو أن لا تأتي.

ـ كيف، لا يمكن أن أتركك تذهب إلى الثعبان.

ـ أرجوك لا تأتي، ستراني وكأني أحتضر، ستتألم.

ـ لن أتركك صديقي.

ـ أخشى عليك من الثعبان، الثعابين تلدغ أحيانًا لمجرد اللهو فتقتلك.

ـ ولهذا لن أدعك تذهب وحدك.

ـ اسمع ، خطرت لي فكرة، الثعبان إذا لدغ مرة أفرغ كل ما في جوفه من سمّ، سيلدغني ولن يتبق عنده سمٌّ يهددك.

في ليلة الفراق والرحيل لم يدعني أراه كأنما آثر أن يرحل في هدوء دون أن يُكبدني ما لا أطيق من آلام الفراق، لكنني ذهبت صوب المكان القديم، رأيت (الأمير الصغير) من بعيد سائرًا في خطى تعرف ما تريد.

اقتربتُ منه قال لي :

ـ ماذا جاء بك يا صديق؟

أمسكتُ يديه فشعر كلانا بقلق يسري، قال لي :

ـ خطأ أن تأتي يا صديق، ستتألم، لا أحب لك الآلام، ستراني جسدًا دون حياة.



شملني اضطراب شديد، قال لي:

ـ الجسد ثقيل والسفر طويل.

أصابني صمت عميق.

ـ سأصبح صَدفة فقدت لؤلؤها، هل يبكي أحد صدفة خاوية؟.

ولم تسعفني قدرتي على الكلام.

ـ عندما أرى النجوم سأكون مثلك سعيدًا، ستصير بالنجوم في قلبي نبعًا يروي أشواق الذكريات.

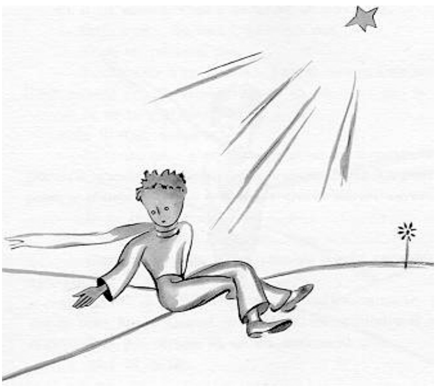
ثم أضاف:

ـ مثير أن تصير النجوم لك أجراسًا وتصير لي نبعًا... نجوم فريدة ليستْ لأحد سوانا.

وسكت عن الكلام وفاضت دموع.

جلس إلى جواري وقال وفي عينيه نظرات قلقة:

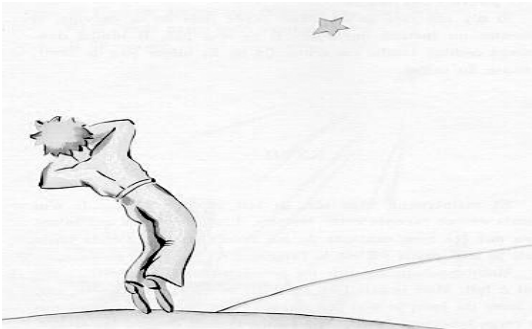
ـ أرجوك ودعني الآن، لابد من الرحيل، صرتُ مسؤولاً عن وردتي، لا أستطيع أن أتركها وحدها تواجه في سذاجة العالم بشوكاتها الأربع.



ونهض ولم أستطع من فرط حزني النهوض، وقال مترددًا:

ـ دنت ساعة الرحيل، وداعًا صديقي.

غمرتني أحزان الفراق وآلام الرحيل ولم أستطع مبادلته كلمة وداع، وسار إلى بعيد، أبصرته هناك واقفًا يطوق الثعبان قدمه كسوار، أبصرته ساكنًا صامتًا لا يصرخ ثم جسدًا تهاوى كريشة إلى الرمال.



ورحل أميري الصغير.

(٢٧)

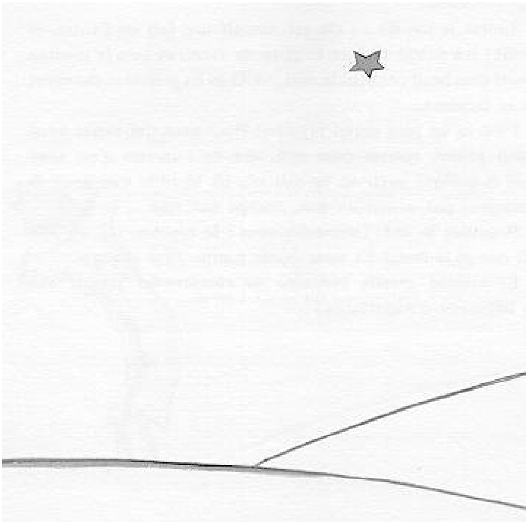
عُدْتُ إلى عالم الكبار، وتحملتُ وحدي آلام فراق صديقي (الأمير الصغير)، لم أحدثهم عن حكايتي مع (الأمير الصغير) لأنهم كما تعلمون، هنأوني بسلامة العودة، كانوا يسألون عن سبب أحزاني فأقول مجرد إرهاق من آثار الرحلة.

مرتْ الآن ست سنين على فراق أميري الصغير، وقد هدأت الأحزان، لكنها لم تغادر قلبي يومًا.

عندما عدتُ في الصباح لم أجد جسد (الأمير الصغير) على الرمال، أعتقد أنه قد عاد بجسده إلى وطنه، لم يكن جسدًا ثقيلاً كما كان يظن.

عندما يأتي المساء وتتلألأ نجوم السماء يسري في قلبي لحن ذكريات لذيذة، تذكرتُ فجأة وأنا في نشوة الذكريات أني نسيت أن أرسم لكمامة الخروف شريطًا كي يربطها (الأمير الصغير) على فم الخروف حتى لا

تسقط، ملأني القلق فقد يغافل الخروف (الأمير الصغير) يومًا ويلتهم بقضمة واحدة وردته، فيضطرب قلبي وأسمع أنين النجوم، وأحيانًا أطمئن القلب أن (الأمير الصغير) يراقب دومًا الخروف في كل تحركاته، وأنه يحمي وردته الفريدة حتى من هبات الرياح، فيسعد قلبي وأسمع ضحكات أفراح النجوم.



وهكذا صار قلبي؛ وقلوب محبيّ (الأمير الصغير)؛ معلقًا في السماء بنجمة صغيرة، صارت لدينا مسألة الوردة والخروف مسألة جليلة، صارت نظرتنا إلى النجوم تختلف باختلاف الأمر بين الخروف والوردة و(الأمير الصغير)، هل فعلها الخروف؟ هل نجت الوردة؟ أتبكي النجوم أم تضحك؟ صارت مسألة حياة أو موت لا يفهمها الكبار.

كي تظل ذكراه في قلوبكم دائمًا ودليلاً على زيارته كوكبنا ورحيله يومًا، تأملوا صورته، أمعنوا النظر في ملامحه لتعرفوه جيدًا إذا ما قابلكم يومًا وأنتم تمرون في الصحراء بالمكان القديم الذي هبط فيه، انظروا إلى السماء والنجمة التي تتألق فوق المكان القديم، إذا رأيتم في أسفاركم فتى ضاحكًا تُراقص خصلاته الذهبية النسيم ولا يرد على أسئلتكم؛ فأنه صديقي أميري الصغير، ابعثوا لي بكلمات تُطمئن القلب أنه قد عاد.

وليته يعود...

❖ ❖ ❖

شمس
للنشر والإعلام
(+2) 01288890065
www.shams-group.net